الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد بن يحي الونشريسي – تيسمسيلت –

معهد الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

موسومة بـــ:

فاعليّة التّـواصل اللّغوي عند الجـاحظ

من خلال كتابه (البيان والتّبيين)

تخصص : لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:

- نيشد بوعلام .
- صادق امهني .

إشراف الأستاذ الدكتور:

- جيلالي بن فريحة .

. لجنة المناقشة:

د . بن سعيد البشير	رئيسا
أ.د . بن فريحة جيلالي	مشرفا ومقررا
د . يونسي محمد	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :

2019م / 2020م – 1440هـ / 1441هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تشكرات

«رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي و أن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين »

وبعد: الحمد لله حمدا يليق بوجهه الكريم، لتوفيقه إيّنا على إتمام هذا العمل المتواضع

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

نتقدم بالشكر الخاص لأستاذنا الفاضل والمحترم "بن فريحة جيلالي" والذي لم يبخل في تصويب بحثنا هذا بنصائحه وإرشاداته القيمة التي قدمها طيلة مرافقته لنا.

ونسأله سبحانه عز وجل أن يجزي عنا كل من ساهم في انجاز

هذا العمل خير الجزاء ونتمنى الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير لنا،

ولوطننا ولأمتنا العربية والإسلامية.

و الحمد لله رب العالمين.

إهداء

سعينا وراء هدف بغية الوصول إليه، فتجاوزنا الكثير من الصعوبات وواجهنا العديد من الأزمات، توكلنا على الله، وسهرنا الليالي، تعبنا وكدنا نفقد الأمل في بعض الأحيان، إلا أن الله وفقنا والحمد لله.

واليوم ها هي ثمرة جهدنا في طيات هذه الأوراق.

إلى سر سعادتي، إلى نبع الحنان وإلى بحر الأمان، إلى قدوتي في هذه الحياة، إلى أمي وأبي، إلى إخوتي وإلى عائلتي، وإلى كل أحبتي، وإلى أغلى ما عندي.

إلى من علمتني كيف أمسك القلم جدتي رحمها الله

إلى كل من علمني ولو حرفا، إلى كل من حفزني للدراسة، إلى كل من شجعني للمواصلة، إلى كل من نصحني بالمثابرة.

وفي الأخير ندعو الله أن يكون عملنا هذا خيرا ونفعا لمن هم بعدنا.

بوعلام

إهداء

بسم الله الرحمّن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله الكريم أما بعد

إلى من أفنيا عمرهما عطاءً وتضحية وبفضلهما أنا موجود في هذا الزمان

إلى الوالدين الكريمين رحمهما الله

إلى أقرب الناس لي إخوتي وأخواتي.

إلى من أحببتهم ولم تسع ورقتي ذكرهم، ولن ينسى قلمي رسمهم ولكن القلب يبقى يحبهم.

إلى كل من أمدني بيد العون.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا العمل.

مهني

مقدمة

مقدمة:

يعتبر الإنسان مخلوقا اجتماعيا بطبعه لا يستطيع العيش بمفرده، كونه في حالة تفاعل مستمر ودائم مع غيره، هذا التفاعل مبني على ضرورة توفر وسيلة واحدة ومهمة، وهي اللغة والتي تعدّ بدورها من أهم آليات التواصل، كما يعتبر التواصل من أهم وظائف اللّغة لأنه عملية تفاعل بين فرد وآخر، أو بين مجموعة من الأفراد، يتمّ بينهم تبادل المعارف الذهنية والمشاعر الوجدانية بطرقة لفظية، وغير لفظية لتحقيق أهداف معينة.

ولعلّ الكثير يظن أن التواصل كعلم لم يظهر إلا في العصر الحديث مع كوكبة من علماء الاتصال، لينتقل بعدها إلى علم اللّغة الذي أقر بأنّ التّواصل هو الوظيفة الأساسية للّغة، بل إنّ علماء العرب قد انتبهوا إلى الوظيفة التّواصلية للّغة من خلال كتاباته.

ولعلّ من أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هو قيمة وجوهر هذا الموضوع في ميدان البحوث اللغوية، بالإضافة إلى اهتمامنا بتقصي التراث العربي، ومحاولة الكشف عن أغواره دون تحيزٍ، بل عن طريق الاثباتات العلمية المؤسسة.

لذا أردنا أن نبحث في جذور البلاغة العربية عن أشكال التواصل وكيف عالجها البلاغيون العرب، فكان عنوان رسالتنا كالتالي:

"فاعلية التواصل عند الجاحظ من خلال كتابه البيان والتبيين"

ومن خلال هذا الطرح يمكننا صياغة الإشكالية كالآتي:

- ما هو الفعل التّواصلي للحدث الكلامي عند الجاحظ من خلال كتابه البيان والتبيين؟
- ما مدى تجلي نظرية التواصل الحديثة عند جاكبسون في كتابات الجاحظ؟

وللإجابـة عـن هـذه التسـاؤلات تتبّعنـا المـنهج الوصـفي؛ وذاك باستقصـاء مـا جـاء في الـتراث اللغوي العربي من أشكال التواصل، ثم وصفها وتحليلها مع مقارنتها بما جاء عند المحدثين.

وبعد أخذ ورد مع الأستاذ المشرف حول طبيعة الموضوع وقع اختيارنا على الخطة التّالية: مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة، بداية بمدخل تحت عنوان "الجاحظ وكتابه البيان والتبين"، جاء فيه سيرة الجاحظ ومختلف مراحل حياته العلمية وكذلك محتوى كتاب البيان والتبيين.

في حين تناولنا في الفصل الأول ماهية التّواصل اللّغوي، قسمناه إلى أربعة مباحث، تطرقنا في المبحث الأوّل إلى مفهوم التّواصل، و في المبحث الثاني: أهمية التّواصل وعناصره، وتعرضنا إلى أهداف التّواصل وأنواعه من خلال المبحث الثالث، مختتمين بعوائق التّواصل في المبحث الرابع.

والفصل الثّاني جاء تحت عنوان: الفعل التّواصلي للحدث الكلامي عند الجاحظ من خلال كتابه البيان والتبيين، حاولنا شرح الفعل التّواصلي للحدث الكلامي عند الجاحظ من خلال تقسيمه لثلاثة مباحث، تناولنا في المبحث الأول: مفهوم الفعل التّواصلي والحدث الكلامي، أما المبحث الثاني فقد جاء فيه التّواصل عند الجاحظ من خلال كتابه البيان والتبيين، ختمنا هذا الفصل بعوامل نجاح التّواصل وعوائقه في نفس الكتاب من خلال المبحث الثالث.

الفصل الثّالث جاء دراسةً تطبيقية بيّنا فيه اسقاط بعض النصوص من الكتاب قيد الدراسة على علم التّواصل الحديث فخصصنا بذلك مبحثا للمرسل، ومبحثا للمخاطب، إضافة إلى مبحث للسياق.

وختمنا بحثنا هذا بخاتمة جاء فيها أبرز نتائج هذه الدّراسة.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في البحث هي تشعب موضوع علم التواصل اللّغوي وكثرة المراجع فيه، ممّا جعلنا لا نتمكن من الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه، ولم نرق به إلى المستوى المطلوب.

وأخيرا نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل الدكتور "بن فريحة جيلالي" الذي كان لنا ناصحا وموجها ومعلما، وظل متابعا لنا طيلة إنجازنا لهذا البحث حتى نهايته، ونشكر كذلك كل الذين ساهموا في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد.

والله ولي التوفيق

تيسمسيلت في: 2020/06/23

نيشد بوعلام

صادق مهني

مدخل

الجاحظ ومؤلّفه البيان والتّبيين

أ/ الجاحظ ثقافته واتجاهه الفكري

مولده ونشأته

اتفق المؤرّخون على أنّ الجاحظ هو «أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء اللّيثي" المعروف ب"الجاحظ البصري" العالم المشهور"[1]، ولد في "البصرة"، أما تاريخ ولادته لا يخلو من الاضطراب على أن المتفق عليه أنّه سنة(150هـ-775م)، ويروي عن "الجاحظ" "أنا أسن من "أبي نواس" بسنة، ولدت أول سنة خمسين وولد في آخرها»[2].

ترعرع "الجاحظ" «طفلا في كنف أبويه، ولم يلبث أن توفي والده وهو ناشئ صغير، فنشأ في كفالة أسرته الفقيرة التي كانت من سواد الشّعب في "البصرة"، ولما ترعرع دخل الكتاب في "البصرة" يتعلم فيه القراءة والكتابة شأن غيره من الأطفال، وبدافع الرّغبة في العلم والطّموح إلى مستقبل كريم والتّعويض عن اليتم الذي خاض جناحه أقبل الطّفل الصّغير بكلّ قلبه وجوارحه على العلم والدّرس والقراءة، موفور الموهبة تام الملكة، وأخذ يتردّد على حلقات العلم في مسجد "البصرة" الجامع يتلقى الفصاحة شفاها عن العرب في "المربد"[3]، وقد كان "الجاحظ" بعد انتهائه من العمل اليومي التعليمي، يذهب بكسب يديه فيبيع الخبز والسمك ب"سيحان" ب"البصرة»[4].

فحياة "الجاحظ" «كانت مقسمة بين طلب العلم، وطلب العيش وإن كانت هذه الظروف قد منعته عن إشباع رغباته من مجالس المربد ومن حلقات المسجد، "إلّا أنّها عوضته، لما بلغه من منزلة راقية في الأدب، وتفكير فيه فريد بين علماء عصره»[5].

---

1 - الأعيان وأنباء الزمان، تح: ابن خلكان، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3، ص507.

2 - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، حققه وضبطه وأعدّ حواشيه عمر فاروق الطبّاع مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1999، ج16، ص52.

3 - أبو عثمان الجاحظ، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، دس، ص50-57.

4 - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ص52.

5- أبو عثمان الجاحظ، محمد عبد المنعم خفاجي، ص56.

وهكذا نجد أنفسنا في هذا الدّور من حياة "الجاحظ" لقاء بيئات مختلفة كونت شخصيته[1]، فعلى الرّغم من الفقر والظّروف القاسية التي وسمت حياته، إلّا أنّها كانت لها الأثر الفعّال والبليغ لما بلغه من العلم والمعرفة.

مذهبه الاعتزالي:

كان "الجاحظ" «منذ بداية عهده في الدّرس والتّحصيل يطالع كثيرا من كتب الفلسفة، وكان أكثر ميله إلى الفلاسفة الطّبيعيين، فكان يروّج لهم، ويخلط عباراته بعباراتهم، وقد شغف بالاعتزال، ومضى يلازم أساتذته ويستوعب كلّ ما عندهم، وصلة المعتزلة بالفلسفة معروفة ومقرّرة، فكان كلّما اشتهر معتزلي لزم حلقته، وكان من أشهرهم "النّظام" الذي دفع "الجاحظ" دفعا للتّزود من مذهبه الاعتزالي المعروف بالنّظامية»[2].

فقد اعتنق "الجاحظ" مذهب أستاذه النّظام وغيره من أساتذة الاعتزال، أصبح له مذهبا مستقلا وطريقته الخاصة في الاعتزال عرفت "بالجاحظية"[3].

وممّا لا شكّ فيه أنّ "الجاحظ" من النّماذج التي شغفت بالقراءة والمطالعة والنّظر وهذا ما أكسبه التّنوع في المعارف، فالاعتزال كان منطلقه من كثرة اطّلاعه على كتب الفلاسفة ومن بين الأساتذة الذين لازمهم في رحلته العلمية "النّظام"، فكان له أن يتأثّر به كذلك في الاعتزال، إلّا أنّ "الجاحظ" انفرد من بين المعتزلة بأفكار وآراء خاصة.

ومن مذهبه أنّ المعارف كلّها ضرورية، وليس فيها شيء من أفعال العباد، وإنّما هي طبيعية وليس للعباد سوى الإرادة[4].

1- ينظر: طه الحاجري، الجاحظ حياته وأثاره، دار المعارف، مصر، ص95-96.

2- المقاييس البلاغية عند الجاحظ، فوزي السيد عبد ربه، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 2005، ص30.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص30.

4- ينظر: تاريخ آداب اللّغة العربية، جورجي زيدان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط1983 م1 ص 476.

أثرت الاعتزالية في كتابات "الجاحظ"، والعقل رائد "أبي عثمان" في تصديه لكثير من الادعاءات في الدّين والاجتماع والحيوان وغيره يقول "الجاحظ": «ولعمري إنّ العيون تخطئ، وإنّ الحواس لتكذب، وما الحكم إلّا للذّهن وما الإستبانة الصّحيحة إلّا للعقل»[1].

ثقافته وشيوخه:

يعد "الجاحظ" «أكبر كاتب ظهر في العصر العبّاسي، فقد كان الثّمرة النّاضجة بكلّ الجهود العقلية الخصبة التي نهضت بها المعتزلة في عصره، وقبل عصره سواء من حيث وضوح المنطق أو من حيث قوة الاستدلال، أو من حيث القدرة على توليد المعاني، أو من حيث الإمساك بزمام اللّغة في مادتها وأساليبها وطرائق التّعبير بها، فكان كأنّه يستمد من مخازن عقلية لا تنفذ»[2].

وفي هذا المجال يقول "ياقوت الحموي": كان "أبو عثمان" واسع العلم بالكلام، كثير التّبحر فيه شديد الضّبط لحدوده، ومن أعلم النّاس به وبغيره من علوم الدّين والدّنيا، وهو عظيم القدرة في المعتزلة، وفي غير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرّجال، ويميّزون الأمور[3].

يعدّ "الجاحظ" علامة عصره، فلم يترك مجالا إلّا وكتب فيه، ولم يترك ظاهرة إلّا وجلّلها ووضّحها بأمثلة وشواهد، فلم يكن أديبا وشاعرا ناقدا وإماما وفيلسوفا، أما شغفه الكبير بالبحث وعكوفه الطّويل على الدّراسة والمطالعة، جعله من النّماذج الفذّة على سعة الثّقافة وحسن الإدراك، والذي يتأمل ما بقي من إنتاجه الهائل يزداد اقتناعًا بأنّه كان من أجمع علماء العصر العبّاسي، فقد فتح على نفسه باب التّنوع في معالجة المواضيع.

1 – دراسات في الأدب العربي، البيئة العباسية الجاحظ، كاظم حطيط، ابن الرومي والمتنبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1977، ص71.

2 – المقاييس البلاغية عند الجاحظ، فوزي السيد عبد ربه، ص35.

3– ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج16، ص56.

وهذا ما أكّده "علي بوملح" في كتابه المناحي الفلسفية حيث يقول«التقت في "الجاحظ" ثلاثة مزايا: الموهبة الأدبية، والفضول العلمي، والفكر النيّر، ولم يجتمع هذا لأحد على ما أعلم قديما وحديثا»[1].

وكما يقال «أربعة لم يلحقوا، ولم يسبقوا "أبو حنيفة" في الفقه، و"الخليل" في أدبه، و"الجاحظ" في تأليفه، و"أبو تمام" في شعره»[2].

ف"الجاحظ" هو المثقف المحمول بالتعدد والتنوع، وما نستطيع الإقرار به أن عمق تفكيره، جعل منه عالما في اللّغة وبيانها، «وقد تتلمذ الجاحظ على جلة من أساتذة عصره، تعددت ثقافتهم، وتنوعت مشاربهم، وكان لهم الأثر الذي لا يجحد على ثقافته وتكوينه العلمي»[3].

سمع "الجاحظ" من عند" "أبي عبيدة"(ت210هـ) و"الأصمعي"(ت215هـ)، و"أبي يزبد الأنصاري" (ت215هـ)، وأخذ الكلام عن "النظّام" (221هـ)، وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد[4].

من سبق ذكرهم هم شيوخ "الجاحظ" الذين تلقى عنهم أصول اللّغة، وصناعة الأدب، وعلم الكلام، وتربى على موائدهم التي تزاحمت عليها صنوف العلم وفنونه وتنوعت تنوعا نلمس آثاره في نبوغه وسعة علمه وأدبه[5].

1 – المناحي الفلسفية عند الجاحظ، علي بوملح، دار الطبيعة، بيروت، للطباعة والنشر، دط، دس، ص63.

2 – أبو عثمان الجاحظ،محمد عبد المنعم خفاجي، ص185.

3 – المقاييس البلاغية عند الجاحظ، فوزي السيد عبد ربه، ص30.

4 – ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ص53.

5 – ينظر: المقاييس البلاغية عند الجاحظ، فوزي السيد عبد ربه، ص26.

وفاته وأهم مؤلفاته:

وفاته:

ظلّ "الجاحظ" حريصا على "العلم والتّأليف، ينتقل في سبيل ذلك بين "بغداد" و"البصرة" إلى أن أدركته الشّيخوخة وأصيب بالفالج ولما اشتدّت عليه العلة استقرّ بـ"البصرة" في مسقط رأسه، فأقام بها البقية من عمره، إلّا أنّه لم يعف نفسه من الكتابة والتّأليف فأخذ ينتج ويبدع"[1]، وحقا ما كان أعجب هذا الرّجل وما كان أعجب هذه القوة العصبية المتقدة المتوهجة، التي لم تعد تعبأ بالسّن ولا بالفالج، ولا بهموم الحياة، بل كأنّما كانت هذه الأعباء ممّا يزيدها مضاء وتوهجا وجدّة[2].

وظلّ على هذا الحال من المرض إلى الألم، حتّى وقعت عليه مجلّدات الكتب التي اعتاد أن يضعها حوله قائمة كالحائط، فمات في المحراب الذي أحبه وبحر فيه طول حياته[3]، وكانت وفاته سنة 255 في خلافة المعتز[4].

اتسم "أبو عثمان" بالإرادة والإقدام والعزيمة والصّرامة والجدية كلّ هذه الصّفات جعلت منه عالما، وبوأته المكانة التي لم يصل إليها إلّا القليل، ولا أحد يستطيع أن ينكر أنّ الجاحظ مثّل الحضارة العربية الإسلامية أحسن وأرقى تمثيل.

1 – المقاييس البلاغية عند الجاحظ، فوزي السيد عبد ربه، ص32.

2 – ينظر: أبو عثمان الجاحظ، محمد عبد المنعم خفاجي،ص455.

3– ينظر: المقاييس البلاغية عند الجاحظ، فوزي السيد عبد ربه، ص33.

4– ينظر: الفهرست، ابن النديم، تح: رضا تحدد، ص209.

مؤلفاته:

يعتبِر "الجاحظ" الكتاب خير معلّم حيث يقول في كتاب الحيوان: "قد يضل صاحبه، ويتقدم مؤلّفه، ويرجع قلمه على لسانه، وهو يقرأ في كلّ مكان، ويظهر ما فيه على لسان ويوجد مع كلّ زمان على تفاوت ما بين الأعصار، وتبادٍ ما بين الأمصار، وذلك أمر يستحيل في واضح الكتاب"[1].

ويبدو أنّ "الجاحظ" فيما كتب وألّف، لم يكتب إلّا عن رغبة واقتناع، وكثيرا ما كان يذكر السّبب الذي حمله على تأليف كتبه حيث يقول في مقدّمة البخلاء «ذكرت حفظك الله إنك قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النّهار، وفي تفصيل حيل سراق اللّيل، وأنّك سدّدت به كلّ خلل...وذلك أنّ موقع نفعه عظيم، وأنّ التّقدم في درسه واجب...»[2].

وقد ذكر "ياقوت الحموي" في معجمه مؤلّفات "الجاحظ" مصرحًا: وهذا فهرست كتب "الجاحظ": كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء، أضاف إليه كتابا آخر سمّاه كتاب النّساء وهو الفرق بين الذّكر والأنثى، وكتاب آخر سمّاه كتاب الفعل، وقد أضيف عليه كتاب سمّاه كتاب الإبل ليس من كلام "الجاحظ" ولا يقاربه، كتاب البيان والتّبيين، كتاب الزّرع والنّخل ، كتاب مسائل القرآن، كتاب فضيلة المعتزلة، كتاب الإمامة على مذهب الشّيعة، كتاب العثمانية، كتاب صياغة الكلام، كتاب الرّد على اليهود، كتاب الوعيد، كتاب الهدايا، كتاب الحزم والعزم، كتاب عناصر الآداب، كتاب المثال، كتاب أحدوثة العالم، كتاب التّربيع والتّدوير، كتاب رسالته في العفو والصّفح، كتاب رسالته في الحيلة، كتاب رسالته في مدح الكتاب، كتاب رسالته في ذمّ الكتاب، كتاب رسالته في الأمل المأمول، كتاب رسالته في العلم، كتاب رسالته في فضل اتخاذ

1 – الحيوان، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، ج1، دار الكتاب بيروت، لبنان، ط3، 1969، ص75.

2 – البخلاء، الجاحظ، تح: التونجي، بيروت، دار الجبل ط1 1993، ص2.

الكتاب، كتاب المخاطبات في التّوحيد، كتاب الأخبار، كتاب من زعم أنّ الإنسان جزء لا يتجزأ، كتاب نقص الطّب...[1].

ب/ **كتاب البيان والتّبيين:**

إنّ كتب "الجاحظ" موضع اهتمام العلماء على اختلاف ثقافتهم، وإذا كانت «هذه الكتب من الشّهرة وذيوع الصّيت، بحيث حرص كلّ مشتغل بالعلم على اقتنائها والإفادة منها فإنّ كتاب "البيان والتّبيين" موضوع هذا الكتاب كان أشهر هذه الكتب وأكثرها ذيوعًا وانتشارًا»[2].

كتاب "البيان والتّبيين" هو آخر ما ألّف "الجاحظ"، إذن هو نتاج عمر طويل، وحصيلة تجارب فكرية، وأدبية ولغوية، لهذا نجد الكتاب قد ضم مادة غزيرة في شتى المواضيع استفاد منه كبار العلماء والكتاب، وها هو "ابن خلدون" يعتبر كتاب "البيان والتّبيين" من أمهات كتب الأدب العربي فيقول: «سمعت من شيوخنا في مجالس التّعليم، أنّ أصول فنّ الأدب وأركانه أربعة: أدب الكاتب لـ"ابن قتيبة" والكامل "للمبرد"، والبيان والتّبيين "للجاحظ" والنّوادر "للقالي" وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها»[3].

وقال "المسعودي": وله أي "الجاحظ" كتب حسان منها كتاب "البيان والتّبيين" وهو أشرفها لأنّه جمع فيه بين المنثور والمنظوم، وغرر الأشعار ومستحسن الأخبار، وبليغ الخطب ما لو اقتصر عليه مقتصر لا اكتفى به[4].

1- ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحمويج16، ص107.

2 – المقاييس البلاغية عند الجاحظ، فوزي السيد عبد ربه، ص39.

3 – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الكبر، ابن خلدون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط3، م1، ص1927.

4 –ينظر: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط3 2003، م2، ص116.

وقد ألّف "الجاحظ" كتابه "البيان والتّبيين" بعد كتاب الحيوان وأهداه إلى أبي دؤاد، فكلّفه عليه بخمسة دينار، ويشير فيه إلى الحيوان فيقول مثلا «كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كلّ مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار والجزء في الكتاب يسمى مصحفا»[1].

فإذا سلمنا بأنّ "البيان والتّبيين" هو آخر ما ألّف "الجاحظ" أدركنا ما له من قيمة نوعية يتميز بها عن سائر مؤلّفاته، فهو حصاد عمر طويل، انقضى في البحث والتّصنيف، وهو ثمرة تمثيل ثقافي طويل المدى، وتجريد فكري بعيد الأغوار أمّا موضوع الكتاب فهو كما تمليه مبدئيا عبارة البيان والتّبيين بحث في خصائص التّعبير البيّن، أي في صناعة الكلام وما تمتاز به اللّغة من طاقات الإبلاغ والإفصاح[2].

ففي الجزء الأوّل يشرح "الجاحظ" "البيان والتّبيين"، ويبيّن عيوبه، ويضع حدودًا للبلاغة ومذاهبها وفي الجزء الثّاني يتحدّث عن الخطابة والشّعر وفي الجزء الثّالث يردّ على الشّعوبية مطاعنها التي قدحت بها في العرب[3].

دوافع تأليفه:

الكتاب قد صنعته إلى جانب النّوازع الفنّية الأدبية، دوافع علمية مذهبية، إذ يبدو أن المتكلّمين و"الجاحظ" أحد أعلامهم قد كانوا أشدّ الناس عناية بخصائص الكلام البليغ لاعتمادهم على صياغة اللّفظ وأفانين تصرفه في مناظراتهم، ومسجلاتهم، وللكتاب غاية لعلّها هي التي حركت الجاحظ إلى تأليفه، وتتمثل في الرّد على الشّعوبية ردًّا صريحًا وضمنيًا في أغلب

1 -ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص15.

2 - قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، عبد السلام المسدي، نشر الشّركة التّونسية للتّوزيع، 1948م، ص100.

3 - ينظر: أبو عثمان الجاحظ، محمد عبد المنعم خفاجي، ص315.

الأحيان، فقصد بذلك إلى إبراز الطّابع الذي انفردت به حضارة العرب، وما تميّزوا به عن غيرهم من ذوي الحضارات الأخرى ولا سيما الفارسية منها هذه السّمة المميّزة إلّا البلاغة والفصاحة[1].

من هذا المنطلق نلاحظ أنّ "الجاحظ" كان له هدفًا واحدًا هو الدّفاع عن البيان العربي بمختلف مظاهره، حيث يظهر ذلك في مقدّمة كتابه إذ يقول «اللّهم إنا نعوذ بك من فتنة القول، كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التكلّف لما لا نحسن، ونعوذ بك من العجب بما نحسن، ونعوذ بك من السّلاطة، والهذر كما نعوذ بك من العيّ والحصر، وقديما ما تعوذوا بالله من شرها وتضرعوا غلى الله في السلامة منهما»[2].

أسلوب "الجاحظ" فيه:

أسلوب "البيان والتّبيين" هو جزء من أسلوب "الجاحظ" في تنوعه واستطراده فإنّه يجد ما وجب الجدّ ويهزل ما حسن الهزل، وما هو يستقر نسقًا واحدًا في الموضوع الواحد، بل يمضي دفقًا متنوعًا متقلبًا، تنوع طباع الكاتب وتقلباتها، وإذ يحكي ويقص، ويسرد ويحلّل ويعلّل ويصف ويعرض الشّواهد والنّماذج ثمّ هو يستطرد، ويتباين بتباين مواضيع الكتاب وأشخاصه من كتاب وخطباء وبلغاء ومعلّمين وناس عاديين وغير عاديين[3].

ف"الجاحظ" كان يزاوج بين معنيين، حيث لا تتجلّى هذه المزواجة في الصّيغة اللّفظية فحسب بل حتّى في تنشئة المعاني وتحريرها أيضًا، ودليل الجاحظ ذو وجهين: وجه جعله للعامة ووجه جعله للخاصة من النّاس، فهذا يدلّ على الاقتدار، وهذه سمة امتازت بها المدرسة الكلامية ذاتها[4].

---

1 -ينظر: قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، عبد السلام المسدي، ص101.

2 - البيان والتبيين، الجاحظ، ص03.

3 - ينظر: دراسات في الأدب العربي، كاظم حطيط، ص51.

4 - ينظر: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ خلال البيان والتبيين، محمد الصغير بناني، ديوان المطبوعات الجامعية، دط1983، ص62.

ولعلّ ما يوضح لنا أسلوب "الجاحظ" البعد عن التّكلف والغموض قوله: «أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عزّ وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة، على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه، ومنزّها عن الاختلال مصونا عن التّكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التّربة الكريمة»[1].

بناءً على ما سبق يمكن القول أنّ كتاب "البيان والتّبيين" كانت له المكانة الكبرى في قطب التّأليف العربي، إذ يعتبر أروع وأنفع مؤلّفات "الجاحظ" على الإطلاق، فالكتاب لم يضم مباحث أدبية فقط، بل تجاوزها الجاحظ ليتعمّق في اللّغة وبيانها، موظفًا العديد من المصطلحات ومن بين المصطلحات اللّسانية التي أولاها الجاحظ اهتماما كبيرا مصطلح "البيان والتّبيين".

1- البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص83.

الفصل الأوّل

ماهية التّواصل اللّغوي

- المبحث الأوّل: مفهوم التّواصل بين اللّغة والاصطلاح.
- المبحث الثّاني: أهمية التّواصل وعناصره
- المبحث الثّالث: أهداف التّواصل وأنواعه
- المبحث الرّابع: معوقات عملية التّواصل.

المبحث الأوّل: مفهوم التّواصل بين اللّغة والاصطلاح.

نال التّواصل أهمية كبيرة في كثير من الدّراسات والأبحاث فقد شمل كلّ العلوم والفنون، وهذا ما دفع العلماء للقول "إنَّ الخصوصيَّات الَّتي تتَّسم بها كلُّ منظومة من منظومات العلامات المستعملة (حيَّة أم تقنيَّة) لها غاية تواصليَّة"[1]، والأداة الرّئيسية للتواصل هي اللّغة إذ« لم يعرف الإنسان حتى الآن وسيلة للاتِّصال أهمَّ ولا أشمل من اللّغة»[2] حيث أنّ الجنس الآدمي يتفوق على جميع الكائنات عن طريق التّواصل باللّغة التي بواسطتها يحدث التّفاعل الاجتماعي بين الأشخاص، فيقع التّفاهم اللّامحدود بينهم.

وقد حرصنا في هذا المبحث أن نقدّم أهم ما جاء في الدّراسات من تعاريف ومفاهيم لهذا المصطلح كما حاولنا أن نفرق بين مصطلحين يتداخلان في كثير من الأحيان وهما مصطلحا التواصل والاتصال.

التّواصل لغة:

جاء في معجم (لسان العرب) لابن منظور أنّ التّواصل بمعنى«وصل وصلت الشّيء وصلًا وصلة، والوصل ضد الهجران، الوصل خلاف الفصل، وصل الشّيء يصله وصلًا وصلة وصُلة»[3].

ووردت كلمة (وصَّل) في المعجم الوسيط بأنّها «وصّل الشّيء بالشّيء: أكثر وصله، بمعنى ضّمه به ولأمه، وصل الشّيء إليه: أنهاه إليه وأبلغه إيّاه، (وتَوصَّل) إليه: انتهي إليه وبلغه، وتلطّف حتّى وصل إليه، وتوسّل وتقرّب»[4]وعليه فمصطلح التّواصل يدل على الاقتران، والاتصال، والصلة،

1ـ نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، رضوان القضماني، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد1، ع 29، 2007م، ص 141.

2- علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، عبده الراجحي، جامعة الإسكندرية، 1992م، ص/25.

3 ـينظر: لسان العرب، ج:15، حرف الواو مادة (وصل)، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003م، ص 4850.

4ـ المعجم الوسيط، ط1، مكتبة الشروق الدولية، شعبان عبد عطية آخرون، جمهورية مصر العربية، 2004م، ص 1037.

والترابط، والالتئام والجمع، والإبلاغ، والانتهاء، والإعلام، ومعنى هذا أنّ التّواصل يراد به الاتصال والاستمرار والتّرابط وهو ضدّ الانقطاع.

التّواصل اصطلاحا:

لقد نال موضوع التّواصل اهتماما كبيرا من قبل الباحثين في ميدان العلوم الإنسانية بشكل عام، ومن قبل علماء الاتصال بشكل خاص، وظهرت تعاريف كثيرة وذلك لاختلاف وجهات النظر بين الباحثين وكان من نتاج ذلك ما يلي:

التّواصل هو العملية التي بها يتفاعل المراسلون والمستقبلون للرسائل في سياقات اجتماعية معينة فهو تبادل المعلومات والرسائل اللغوية وغير اللغوية سواء أكان هذا التبادل قصديا أم غير قصدي بين الأفراد والجماعات.[1]

وهو «عبارة عن نقل أو تبادل المعلومات بين الأطراف المؤثرة بحيث يترتب عليه تغيير المواقف والسلوكيات، وبهذا يكون التواصل من أهم الظّواهر الاجتماعية التي تندرج تحتها كلّ الأنشطة التي يمارسها الإنسان في حياته»[2]إذن التّواصل هو تبادل للأفكار والأحاسيس إذ تدخل فيه عوامل سواء كانت هذه الحركات مفهومة أو غير مفهومة بين المتحدّثين.

ويدل أيضا التّواصل على«عملية نقل الأفكار والتجارب وتبادل المعارف والمشاعر بين الذوات والأفراد والجماعات وقد يكون هذا التواصل ذاتيا شخصيا أو تواصلا غيريا، وقد ينبني على الموافقة أو على المعارضة والاختلاف، ويفترض التواصل باعتباره نقلا وإعلاما... مرسلا، ورسالة ومستقبلا

1- ينظر: سيكولوجية الاتصال، عالم الفكر، طلعت منصور، الكويت، المجلد 11، 1980م، ص107.

2- مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي، محمد محمود مهدي، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، القاهرة 1997م، ص12.

وشفرة، يتفق على تسنينها وتشفيرها كل من المتكلم والمستقبل (المستمع) وسياقا مرجعيا، ومقصدية الرسالة»[1].

إذن العملية التّواصلية تتطلب مرسلًا ومستقبلًا ورسالة وقناة، المرسل هو الذي ينشئ الرّسالة، سواء أكانت هذه الرّسالة شفوية أم كتابية وهي عبارة عن أفكار ومعلومات يوجّهها إلى المستقبل (المرسل إليه)الذي يتفاعل مع الرّسالة وقد يكون فردًا أو جماعةً أو جمهوراً أو مؤسسةً، والرّسالة عبارة عن معلومات وآراء ومشاعر التي يرغب المرسل بنقلها ولا بدّ أن تكون واضحةً وبسيطةً يفهمها المستقبل، وأخيرًا القناة وهي الأداة التي بواسطتها يتم نقل الرّسالة، وقد تكون هذه الوسيلة صحيفة أو تلفازًا أو خطبة أو غيرها.

الفرق بين التّواصل والاتصال:

لقد ذهب كثير من الدّارسين إلى أنّ هناك اختلاف بسيط بين الاتصال والتّواصل ويكمن هذا الفرق في أنّ: «اتصل يعني وصل شيئًا بشيء آخر بينما يعني (تواصل)العلاقة المتبادلة بين طرفين في الاتصال، أي أنّ هناك رغبة من أحد الطّرفين في التّواصل مع الآخر، وهذا الآخر يستجيب ويتفاعل مع تلك الرّغبة، وعليه فإنّ التّفاعل أو الرّغبة في المشاركة تحدث في كلّ الطّرفين»[2].

وفي هذا الصّدد يقول "علي عجوة" في كتابه "مقدمة في وسائل الاتصال عند تعريفه للتّواصل أنّه لا يعني «مجرد توجيه رسالة من طرف إلى آخر، وهي العملية التي يمكن أن يطلق عليها البث أو النشر أو الإرسال من جانب واحد، فلكي يتم التواصل لابد أن يتلقى الطّرف الأوّل ردًا فوريًا أو مؤجلًا على رسالته، وأن تستمر الرّدود مع استمرار توجيه الرّسائل، فإذا انقطعت الرّدود أصبحت

1ـ التّواصل اللساني، جميل الحمداوي، ص6.

2- إدارة الصفوف وتنظيم بيئة التعليم، بشير محمد عربيات، ط1، دار الثقافة، عمان الأردن، 2006 م، ص137.

الرّسائل بثًّا أحادي الاتجاه»[1] إذن يتبيّن لنا من التّعريفين أنّ التّواصل يكون بتفاعل كلّ من الطرفين وهو يشترط متكلّم ومستمع بينما الاتصال فيمكن أن يكون بين الطّرفين مع احتمالية عدم تفاعل الطّرف الآخر مع المتكلّم فيكون الاتصال في هذه الحالة أحادي الاتجاه.

ولأنّ الاتصال والتّواصل متداخلين مع بعضهما، يصعب تحديد تعريف لكلّ منهما فمثلًا صالح خليل أبو أصبع يقول: «يمكننا التفريق بين الاتصال والتواصل من حيث طبيعة عملية الاتصال، وبينما يعني الاتصال إرسال الرسالة إلى المتلقي، إلا أن ذلك لا يعني أن المتلقي سيستجيب لها، فبينما الرّسالة الأولى رسالة اتصالية، فإنّ الأخيرة رسالة تواصلية ونطلق عليها كلمة تواصل لأنّ الكلمة تحمل في طيّاتها معنى المشاركة والتفاعل والاستمرارية وهما من سمات عملية التواصل الناجحة»[2]، فقد حدّد خليل أبو أصبع* الاختلاف بين الاتصال والتّواصل فقد ميّز بينهما في كون الاتصال يكون بعدم استجابة الطّرف الثّاني للرّسالة، فإذا تمّ الرّد من قبل الطّرف الآخر تكون تواصلية بمعنى أنّ التّواصل يكون بالمشاركة من كلا الطّرفين وتفاعل كلّ منهما مع الآخر وقال بأنّ ذلك من سمات العملية النّاجحة في التّواصل.

1- مقدمة في وسائل الاتصال، علي عجوة وآخرون، ط1، مكتبة مصباح، مكتبة السعودية، جدة السعودية، 1989م، ص18، نقلًا عن: الاتصال ونظرياته المعاصرة، حسن عماد مكاوي، ليلى حسن السيد، ط1، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998م، ص23.

* صالح خليل أبو الأصبع: من مواليد الأردن، عام 1946، دكتوراه في النقد الأدبي والأدب المقارن من جامعة القاهرة، دكتوراه في الاتصال الجماهيري من جامعة هوارد – بوسطن، أستاذ الاتصال الجماهيري والنقد الأدبي ونائب رئيس جامعة فيلادلفيا – الأردن، له عدد من المؤلفات في مجالي الاتصال والنقد الأدبي, بالإضافة إلى القصص القصيرة.

2- نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، محمد عبد الحميد، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1997م، ص21، نقلًا: حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد، ص54.

مفهوم التّواصل عند العرب القدامى:

الجهود التي بذلها علماء العرب قديما أثناء دراستهم للّغة وكلّ ما يتعلق بها كان ذلك نتيجة حرصهم الشّديد على فهم القرآن الكريم الذي يعدّ رسالة أزلية وخالدة موجّهة إلى البشر بكامل عناصرها من مرسل إلى مرسل إليه، وقناة اتصال أو وسيلة وأثر أو هدف لتكوين مجتمع منسجم، فتتفاعل فيه عناصره بكل محبّة، وحوار وائتلاف[1]، وحتّى وإن قلنا أنّ التّواصل عرف عندهم في حدود ما يعرف بالبلاغة والفصاحة والبيان، فالاتصال يظلّ أحد أهمّ عناصر الفهم والإفهام والبيان والإعراب عمّا في الضمير.

تناول اللّغويون العرب في مصادرهم قضايا متعلقة بالتواصل وأركانه مركزين على العناصر الأربعة المتمثلة في المتكلم والسامع والرسالة والمقام، والبلاغة بحد ذاتها تبحث في هذه العناصر فارتبطت البلاغة عندهم بعملية التواصل اللّغوي هم:

عرّف ابن المقفع (ت 142هـ) البلاغة على أنها: «اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة منها ما يكون في السّكوت ومنها ما يكون في الاستماع (..) ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا»[2]، إذ البلاغة عنده لها معانٍ كثيرة منها ما يدخل في (آداب المحادثة) مثل السكوت والاستماع، والاستماع هو من أهم عناصر التواصل، ومنها ما يدخل في فنون الأدب مثل الخطب والشعر، والسبيل للوصول إليها تخير سهل الألفاظ والابتعاد عن وحشي الكلام، دون أن ننسى الأساليب البلاغية المعروفة مثل السجع والإطناب والإيجاز[3]، كما ركز على مطابقة الكلام لمقتضى الحال بمعنى تشكيل السياق الخطابي

1ـينظر: الاتصال ومهاراته مدخل إلى تقنيات فنّ التبليغ والحوار والكتابة، أحمد عزوز، منشورات مختبر اللغة العربية والاتصال، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2016م، ص9.

2ـ كتاب الصناعتين، تح: مقيد قميحة، أبو هلال العسكري، ط2، دار الكتب العلمية، 1981م، 1989م، ص 19.

3ـ ينظر: نزهة الأديب والكاتب البليغ، تركي بن الحسن الدهماني، ط1، أمواج للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2013م، ص26.

استنادا لجميع الأوضاع وجعله في مستوى المقام المحيط به مع اختلاف وضعيات المخاطب حسب الموقف الذي فيه، وذلك ليصل إلى الانسجام والتوافق أثناء عملية التواصل.

أمّا ابن جني (ت392) في تعريفه للغّة بقوله «أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم»[1]، ويقصد بذلك أن الوظيفة الأساسية للغة هي التّواصل، فهي نظام من الأصوات المنطوقة يستخدمها الإنسان أو المجتمع للتفاهم والتعبير عن المشاعر والفكر.

حصر ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) اللّغة في الوظيفة التبليغية «ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام ظاهرا جليا لا يحتاج إلى فكر لاستخراجه، وتأمل لفهمه (...) والدليل على صحة ما ذهبنا إليه (...) أن الكلام غير مقصود في نفسه وإنما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم»[2]، فالتواصل عند ابن سنان الخفاجي يستلزم متكلما وسامعا ورسالة وقناة .

عندما وصلت علوم البلاغة السّكاكي (ت626هـ) بلغت إلى مرحلة التقعيد، إذ احتل كتابه مفتاح العلوم مكانة جعلت علماء اللغة في ذلك العصر ينصرفون لتقديم شروحات وتلخيصات وتبويبات لكتاب مفتاح العلوم وهذا ما جعل (بدوي طبانة)* يقول: «ولسنا نعرف السّحر العجيب الذي سحر العلماء وفتنهم بكتاب السّكاكي فجعلهم ينسون أنفسهم وينكرون ملكاتهم ليسيروا في ركاب السكاكي، وفي قيد كتابه حتى جعلوه القطب الذي يدورون حوله، والغاية التي يُيَممُونَها»[3]، ولا

1 ـ الخصائص، تح: محمود علي النجار، أبو الفتح ابن الجني،ج 1، د ط، دار الكتاب العربي، مصر، ص 33.

2ـ سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1982م، ص220ـ 221.

* بدوي طبانة: أحد ابرز علماء اللغة العربية المعاصرين ولد الدكتور طبانة بمدينة الشهداء بمحافظة المنوفية بمصر في الثامن من سبتمبر1914 م، حصل على الماجستير سنة 1951م، من جامعة القاهرة في النّقد الأدبي والبلاغة، وكان موضوع دراسة الماجيستير أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية، ثمّ حصل على الدكتوراه في عام1953 م وكانت بعنوان قدامة بن جعفر والنّقد الأدبي.

3ـ البيان العربي . دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب، بدوي طبانة، ط7، دار المنارة ودار الرفاعي، الرياض، 1988م، ص336.

أنّه قد سبق غيره بتقسيم مباحث البلاغة إلى ثلاثة مباحث علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، وهذا ما أدى بالباحثين في اللّغة بأن ينجروا على طريقة السكاكي.

ففي تعريفه للبلاغة اشترط فيها متكلماً وسامعاً ورسالةً لأن التركيب الحسن يعمل على تأدية المعنى كاملا وهذا ما تقوم عليه العملية التواصلية إذ يقول: «بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها»[1]، لقد تضمن في تعريف السّكاكي أهميّة للمتكلّم لأنّه هو الذي ينتج الخطاب وعليه تأدية المعنى حتّى يفهمه السّامع أو المتلقي، بمعنى أن البلاغة عنده أن يتمكن المتكلم من تأدية الرسالة بشكل واضح ومفهوم من أجل الإفهام ولا يكون ذلك إلا إذا كانت اللغة راقية قوية التراكيب، والتّواصل بدوره يشترط هذه العناصر الثّلاثة متكلّما وسامعا ورسالة.

كذلك يعتبر ابن خلدون (ت808هـ) من بين العلماء الذين اهتموا بالبلاغة والبيان إذ عرفها بقوله: اعلم أنّ اللّغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلابد أن يصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب مصطلحاتها[2]، إنّ الملاحظ لتعريف ابن خلدون يرى أنّه اعتبر اللّغة وسيلة من وسائل الاتصال يحكمها القصد، واللّسان هو الأداة التي يتم بها فعل الإنجاز، بمعنى إيصال الفكرة لغويًا عن طريق اللّسان، وربط ابن خلدون بين اللّغة والمجتمع وهو ما يعرف الآن بحقل اللّسانيات الاجتماعية الذي تهتم بالاستخدامات اللّغوية داخل المجتمع.

1- مفتاح العلوم، السكاكي،تح: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1989 م، ص180.
2- المقدمة، دار ابن خلدون، الفكر للنشر، لبنان، 2007م، ص559.

مفهوم التّواصل عند علماء الغرب:

التّواصل هو: «عبارة عن تبادل المعلومات والأفكار بين شخصين أو أكثر، أو بعبارة أخرى فهو عملية مستمرة تتضمن قيام أحد الأطراف بتحويل أفكار ومعلومات معينة إلى رسالة شفوية، أو مكتوبة تنقل من خلال وسيلة اتصال إلى الطّرف الآخر»[1].

كما نجد التواصل يُعرف أيضا على أنه عملية تبادل للمعلومات ولا تقتصر هذه العملية على البشر وحدهم بل هي عملية موجودة لدى جميع الكائنات الحية إلا أن ما يميز التواصل البشري عن غيره، أنه أكثر أنواع التواصل تعقيدا وإبداعا كما أن استخدامه لدى البشر بهدف تحقيق الحاجات الأساسية لبقائه فقط، وإنما يتعداه للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره المختلفة من ناحية وللتواصل الاجتماعي من ناحية أخرى[2].

جاء التّواصل في معجم العلوم السّلوكية بأنّه «انتقال أو استقبال لإشارات أو الرسائل بين الأشخاص»[3]، فالتواصل هو عملية تفاعلية بين الأشخاص الهدف منه نقل المعرفة أو تبادلها، إذ لا يتم التّواصل إلّا من خلال طرفين مرسل ومستقبل وموضوع الرسالة.

1- تعديل سلوك الأطفال المعاقين سمعيا – (النظرية والتطبيق)، صالح عبد المعصور، ط1، دار الوفاء لدنيا، الطباعة والنشر الإسكندرية، 2009، ص 103.

2 – ينظر: في اللغويات المعاصرة، شحدة فارغ وآخرون، ط3، دار النشر والتوزيع، الأردن، 2006، ص 241 -242 .

3- تعديل سلوك الأطفال المعاقين، سمعيا (النظرية والتطبيق)، صالح عبد المقصور، ط1، دار الوفاء دنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية 2009، ص 102.

المبحث الثّاني: أهمية التّواصل وعناصره

يعتبر التواصل الحجر الأساس في عصرٍ أصبح فيه فن التعامل مع الآخرْ السبيل لتحقيق النجاح في جميع مناحي الحياة، فمعرفة أساليب التواصل وتقنياته يساعد في «البناء والمحافظة على العلاقات الاجتماعية، العملية والعاطفية، ومن جهة أخرى فإن تعمقك في عملية التواصل يحقق قدرة فورية وفعّالة في التّأثير على الآخرين، هذه القدرة قابلة للتطبيق في كل جانب من جوانب حياتنا، باختصار في جميع الاتصالات البشرية وفي المسارات الحياتية، لأن فن التواصل والإقناع هو بمثابة بناء جسر بين المعرفة والفهم، فهو يكشف عن خفايا في حياة الأشخاص ويُحدث تغيرا في نمط التفكير»[1]، فالتواصل هو السبيل إلى النجاح في علاقاتنا مع الآخرين إذ يؤكد الباحثون على أهمية دراسة تقنيات وطرق التواصل «فقد يستغرب البعض ويتساءل: لماذا نحتاج إلى دراسة علم الاتصال ؟

ويكمن السبب في أن الفرد يقضي ما يقارب 85 في المائة من وقته في الاتصال والتواصل مع الآخرين»[2]، لأن الإنسان بطبعه في حالة مستمرة مع غيره يحادثه ويجادله، وسواء كان هذا التواصل لغويا أم غير لغوي يتفاعل معهم يؤثر فيهم ويتأثر بهم، وهذه الأهمية متعلقة بالمرسل والمرسل إليه «لأن الاتصال قبل أن يصبح علما في تاريخ حديث جدا، هو مقوم أساسي من مقومات الوجود الإنساني، حتى لنستطيع أن ندرجه ضمن الحاجات الأساسية لبني البشر»[3] فالتفاعل هو جوهر الاتصال من خلاله يتم التطور والتقدم وتبادل الخبرات والمعلومات والقيم والتواصل هو وسيلة لذلك.

وتتمثل عناصر التّواصل فيما يلي: فيما يلي:

1ـ فن التواصل والإقناع، ليلى شحرور،ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، 2009م، ص9.

2ـ الاتصال اللغوي في القرآن الكريم، فهد محمد الشعابي الحارثي، ط1، مكتبة مؤمن قريش، بيروت لبنان، 2014م، ص 53.

3ـ الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارة، حجازي مصطفى،دط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1989م، ص 13.

المرسل: ويجب عليه أن يمتلك مهارات الكلام، واللغة، والنطق السليم عند التحدث حتى يستطيع توصيل ما يريد إيصاله.

المرسل إليه:

نعني به المتلقي «الذي يستهدف من عملية النقل الاتصالية تفكيك الرسالة الكلامية»[1].

الرسالة:

هي المضمون، وفيها نعبر عما نريد، فهي عبارة عن رموز تخضع للتأويل بحيث تكون ذات فائدة للمتلقي، وتثير اهتمامه بحيث «يجب أن تصاغ الرسالة بصورة يستطيع المستقبل استلامها وفهمها والاستفادة منها»[2].

القناة:

هي الوسيلة الموظفة في عملية التواصل لنقل الرسالة مثل «اللغة اللفظية والإشارات والحركات والصور، والتماثيل، والسينما وغيرها»[3].

المرجع:

هو كل العناصر والمواقف التي تحيط بالفعل التواصلي «وتتكون من السياق»[4].

1- دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، ط1، دار هومه، الجزائر، 2011م، ص45.

2- الإشراف التربوي، جودت عزت عبد الهادي، "مفاهيمه وأساليبه"، ط1، دار الثقافة، عمان، الأردن، 2006، ص218.

3- المرجع نفسه، ص/218.

4- دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، ص46.

المبحث الثّالث: أهداف التّواصل وأنواعه

أ- أهداف التواصل:

إنّ الدخول في أي عملية تواصلية قد يكون الهدف منه التأثير في المتلقي من خلال توصيل معلومات من شخص إلى شخص أو إثارة الانفعالات وتحريك العواطف أو تغيير وجهة نظره أو سلوكه وقد تكون لأغراض أخرى مثل نقل خبرات، ويمكننا أن نذكر أهم أهداف التواصل بصورة عامة في ما يأتي:

1- الهدف التثقيفي:الإنسان في تعاملاته اليومية يتبادل المعلومات مع الآخرين، "فيتزود بمعلومات جديدة لم يكن يعرفها من قبل، أو تكون المعلومة التي حصل عليها تأكيدا لمعلومات قديمة لديه، أو تعديلا لها»[1]، لأن المعلومات تعمل على اتساع أفقهم وزيادة خبراتهم فالمعرفة هي المصدر الوحيد للقوة.

2- الهدف التعليمي: إن الفرد لديه الحاجة إلى التعلم وحب الاستطلاع والاكتشاف، وهذه الحاجة المعرفية لا تتم إلا من خلال الاتصال مع الآخرين ونقاشهم ومحاورتهم، ويتم تحقيق هذه الأهداف من خلال التواصل بطريقتين:

أ- الطريقة النظامية وتسمى التعليم وهو الذي يتم في مؤسسات التعليم النظامية كالمدارس والجامعات، حيث يقوم المعلم بإكساب المتعلم المهارات والمعارف والعلوم الصحيحة التي تم التخطيط لها مسبقا.

1- الاتصال اللغوي في القران، فهد محمد الشعابي الحارثي، ص 55.

ب ـ الطريقة غير النظامية وتسمى المعرفة حيث يكون التواصل بين طرفين أحدهما من مصدر المعلومات والآخر مستقبل للمعلومات وهي غير خاضعة لنظام معين ولا إشراف وليس لها خطة معينة، وقد تكون المعلومات المتحصل عليها صحيحة وقد تكون خاطئة[1].

3 – الهدف التربوي: يعد التواصل مهما في العملية التربوية وذلك لأنه يوجه السلوك ويغرس القيم أو يعدل الاتجاهات ويغيرها، فكثيرا ما يكون الهدف من التواصل بين الأفراد هدفا تربويا لتهذيب النفوس، وبناء الأجيال، إكساب اتجاهات وتعديلها وتثبيتها[2].

4 – الهدف الاجتماعي: يسعى التَّواصل إلى تحقيق أهداف اجتماعية إذ أن الإنسان بطبعه كائن اجتماعي، والتواصل يهدف إلى تقوية الصلة بأفراد العائلة والأصدقاء وغيرها من العلاقات، ويهدف إلى تحقيق التعاون والانضمام إلى المجموعات المختلفة والانتماء إليها واكتساب عضويتها، بالإضافة إلى تكوين وإنشاء المؤسسات الاجتماعية مثل الأسرة والمحافظة على بقائها واستمرارها، الأمر الذي يؤدي إلى بقاء المجتمع متماسكا، كما يؤدي التّواصل أيضا إلى التعرف على آراء الآخرين وأفكارهم في سياقها الاجتماعي مما يشعر الفرد بالوحدة الاجتماعية والانتماء الاجتماعي[3].

5 – الهدف الإقناعي: إن الضرورات التي تتطلبها الظروف والحياة تجعلنا بحاجة إلى الإقناع وذلك لأن التواصل يؤدي دورا مهما في إقناع الآخرين «قد يتوهم الواهم أن هذا الهدف الذي يتحقق خصوصا في مجال التجاري أو الحقوقي، إلا أنه مصاحب للسلوك الإنسانيّ في كل تفاصيل حياته، القائمة على تبادل المصالح عبر قناة التفاوض وتمارس عمليات الإقناع في المجالات التالية: عالم

1ـ ينظر: مهارات الاتصال، ط1، الجامعة السعودية الالكترونية عمادة السنة التحضيرية، 2012م، www. Seu.edu.sa، ص46.

2ـ الاتصال اللغوي في القرآن، فهد محمد الشعابي الحارثي، ص 55

3ـ ينظر: مهارات الاتصال، الجامعة السعودية الالكترونية عمادة السنة التحضيرية، ص45.

الأفكار، وعالم المعتقدات، وعالم السلوكات والحالات»[1]، فمحاولة التّأثير في الناس جزء من حياتنا سواء أردت الإقناع بوجهة نظرك أو كنت تاجرا أردت إقناع الزبون بجودة البضاعة أو كنت محاضرا تقنع مستمعيك، بالإضافة إلى ما نراه بصفة يومية في الإقناع مثل الإشهارات ووسائل الإعلام وغيرها.

6 – الهدف الديني: يحقق التواصل أهدافا روحانية وذلك من خلال اتصال العبد مع ربّه، فالإنسان يحتاج إلى الجانب الروحاني من خلال تقوية علاقته بربه بالعبادات لكي يتخلص من همومه وآلامه وأحزانه ومشاكله ويوكلها إلى تلك القوة الغيبية التي تستطيع أن تلبي إليه مطالبه وتحول آلامه إلى آمال وأحزانه إلى أفراح، والصلاة هي الصلة التي تربط العبد بربه، إذ تعد أحد أهم الأمور التي تلبي الحاجات الروحية، ومما يؤكد على أهمية الحياة الروحانية في التواصل الإنساني ما نلاحظه من كثرة حالات الاكتئاب والانتحار لدى الأشخاص الذين يشعرون بنقص في تلبية الحاجة الروحانية، أو من لديه قصورٌ في التواصل مع خالقه[2].

7– الهدف الترفيهي: يتواصل الإنسان مع غيره من أجل المتعة والترفيه، «فمع ظروف الحياة المختلفة تبدو الحاجة إلى الاستمتاع والترفيه من خلال التواصل مع الآخرين، إرسالا واستقبالا بأي وسيلة اتصال، فالرسائل الاتصالية تسهم بشكل كبير في الترفيه عنهم والتخفيف من أعباء الحياة»[3] مشاكلها والقضاء على الملل الناجم عن الروتين.

1ـ النظرية التواصلية، نعمة دهش فرحان الطائي، مجلة الأستاذ، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الخامس، جامعة بغداد 2017م، ص135، نقلا عن رفيق أبو حسيني، الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية والتواصل، ط1، سلسلة فكر ونقد، الكتاب الثالث، ص64.

2ـ ينظر: مهارات الاتصال، الجامعة السعودية الالكترونية عمادة السنة التحضيرية، ص 47.

3ـ الاتصال اللغوي في القرآن، فهد محمد الشعابي الحارثي، ص56.

8 – الهدف الجمالي: وتتعلق بالنواحي الجمالية للإنسان وتتمثل في النواحي التالية[1]:

أ- النواحي الجمالية الشخصية، وتتعلق بالجمال الشخصي من حيث الملبس وتسريحة الشعر والعطر، وهي التي تعطي الرسائل الاتصالية الرمزية أثناء عملية التواصل.

ب - النواحي الجمالية البيئية، وتتعلق بالمكان الذي يتم في محيطه من حيث التجهيزات والترتيب والألوان والإضاءة والتهوية والحرارة وغيرها والتي تبعث السرور في النفس أثناء عملية الاتصالية.

ج - النواحي الجمالية الإبداعية، وتتعلق بالإبداع الأدبي والفني سواء ما تعلق منها بمهارة استخدام اللغة مثل القصة والرواية والشعر، أم ما يتعلق باستخدام المهارات اليدوية والتشكيلية والرسومات والأشكال الهندسية.

ب- أنواع التّواصل:

ينقسم التّواصل إلى نوعين التواصل اللغوي والتواصل غير اللغوي

1-**التّواصل اللّغوي**: وينقسم إلى التواصل الشفهي والتواصل الكتابي

1-1 التّواصل اللفظي (الشفهي): وهو الجانب المنطوق من اللّغة إذ «هو الذي تستخدم فيه اللغة الشفهية والأصوات المعبرة عن الأفكار والمعارف التي يراد نقلها إلى المستقبل، سواء كانت مباشرة من المرسل أو باستخدامه آليات كالهاتف ومكبر الصوت أو التسجيل الصوتي أو الظهور في شاشة التلفزة».[2]

1- ينظر: مهارات الاتصال، الجامعة السعودية الالكترونية عمادة السنة التحضيرية، ط1، 2012م، ص47- 46.

2- التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي، تاعوينات علي، إعداد: هيئة التأطير بالمعهد، الجزائر، 2009م، ص27.

وهو أيضا «العملية التي يتم من خلالها تفاعل الأفراد سويا من خلال الإشارات الصوتية وما تكونه من ألفاظ وكلمات أو عبارات، ويعرف الاتصال على أنه تبادل اللغة الكلامية من خلال الحديث بين الطرفين لنقل رسالة لها هدف معين»[1].

من خلال التّعاريف تبين لنا أن «التّواصل اللّفظي هو ما يدرك بالسّمع من خلال التّعبير باللسان عن المقاصد بالأصوات، ولهذا فاللغة تعد أحد أهم وسائل التواصل بغض النظر عن هدفها أو طبيعتها التّواصلية»، وبالتّالي فالتّواصل اللّفظي يرتكز على الكلام المنطوق والمكتوب واللّغة هي العنصر الفعال فيهما.

1ـ2- التّواصل الكتابي:

وتتم «فيه عملية الاتصال من خلال الكلمة المكتوبة وتعبر الاتصالات الكتابية عن نقل الأفكار والبيانات والمعلومات باستخدام الكلمة المكتوبة»[2].

ويشتمل أيضا «على المهارات التي تتعلق بالقدرة على التعبير الكتابي وتسجيل البيانات بصورة تسهل من عملية توصيل الرسالة بالطريقة الصحيحة إلى المستقبل»[3].

وأيضًا «يُعبر عن التواصل الكتابي بالتّواصل الشخصي، ويعتمد على الكلمات والألفاظ المكتوبة لا المنطوقة في صياغة مضمون الرسالة التي توجه إلى المستقبل أفراد أو الجماعات»[4]، بمعنى التواصل الكتابي يعتمد بالدرجة الأولى على المكتوب من الألفاظ والكلمات وهو عكس المنطوق.

1ـ مهارات الاتصال، الجامعة السعودية الالكترونية، عمادة السنة التحضيرية، ص68.

2ـ الاتصال اللغوي في القران الكريم، فهد محمد الشعابي الحارثي، ط1، مكتبة مؤمن قريش، منتدى المعارف، بيروت، 2014 م، نقلا عن شريف الحمودي، مهارات الاتصال، ط2، عمان، دار يافا، 2006م، ص18.

3ـ مهارات الاتصال، الجامعة السعودية الالكترونية، ص 68.

4ـ استراتيجيات التواصل اللغوي، شيباني الطيب، مذكرة ماجيستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص تعليمية اللغة العربية وتعلمها، إشراف د لبوح بوجملين، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2009م /2010م، ص26 .

2 – التّواصل غير اللّغوي:

التّواصل غير اللّغوي «يشير إلى نقل للعلامات يتّم إنجازه بوسائل أخرى غير الألفاظ المنطوقة، أو المكتوبة ويذكر أنّ هذا المصطلح يتضمن الحركات الجسمية وتعبيرات الوجه، والمسافة بين المشاركين واللّمس والشّم والصّفير وعلامة التّدخين ولغة الطّبول ونحوها من المؤثّرات الصّوتية والاختيارية وكذلك التي تصاحب الملفوظات المنطوقة نحو (هيه، ها، مم)»[1].

وهو كذلك يعتبر التّواصل «الذي لا يعتمد على إصدار أو استخدام الأصوات في العملية الاتصالية، ولكن يعتمد على حركات الجسد وما يصاحبها من رموز اتصالية، يمكن تعريف الاتصال غير اللفظي على أنه العملية التي يتم من خلالها تبادل الأفكار والآراء والانطباعات بين الأفراد بدون استخدام (الكلمات أو الألفاظ)»[2] ويستخدم الأفراد عند تواصلهم فيما بينهم الإشارات والحركات والإيماءات سواء كانت بطريقة إرادية أم غير إرادية، ويمكن أن تكون لها تأثيرات سلبية على المتحدث إذا لم ينتبه إلى تصرفاته في استخدامه لها.

1ـ مجلة اللغة والاتصال، مجلة علمية محكمة يصدرها مختبر اللغة العربية والاتصال، جامعة وهران، ع: 13، 2013م، ص145.
2-مهارات الاتصال، الجامعة السعودية الالكترونية، ص 126.

المبحث الرّابع: معوقات عملية التّواصل.

هناك معيقات تعيق عملية التواصل، وتحول بين القائم بالاتصال وبين توصيل رسالته، ومن هذه المشكلات ما يلي:

1- التّشويش:

والذي يُقصد به عدم شرح الرسالة شرحا صحيحا بحيث فيها نوعٌ من الغموض بالنسبة للمستقبل مما يصعب عليه فهمها، وإذا فهمها فإنه يفهمها بالخطأ، ومن الأمور التي تسهم في إحداث تشوش المعنى:

ـ استعمال المرسل لمفردات غير مألوفة يصعب على المستقبل فهمها بسهولة، وهذا يوازي تقديم مواضيع لا تتوافق ومستوى الجمهور المستهدف، وهذا يشير إلى عدم قدرة المرسل على ترجمة أفكاره بصورة واضحة من أجل إيصال ما يريده، ويرغب فيه للجانب الآخر من أجل انجازه وتنفيذه.

ـ عدم وضوح قصد المرسل، وما عناه في رسالته وضوحا كافيا، فيفهم المستقبل الرسالة بطريقة مغايرة لما أراده المرسل في الأصل.

ـ الفهم الخاطئ للمعاني بسبب التفاوت الثقافي بين المرسل والمستقبل[1].

2- الشّرود الذّهني وعدم الانتباه من قبل المستقبل:

وهو عدم محاولة التفاعل مع موضوع الرسالة، وقلة التركيز، وذلك نتيجة لضغوطات خارجية أو التفكير بأمور أخرى أو قلة الخبرة بموضوع الرسالة.

3 – التّباين في المستوى والإدراك:

إنّ قلة خبرة المرسل بالموضوع الذي يعالجه "ينجم عنه أن تكون استنتاجات من الرسالة خاطئة إذا كان المرسل والمستقبل مختلفين"[2].

1ـ ينظر: الإشراف التربوي – مفاهيمه وأساليبه –، جودت عزت عبد الهادي، ص225.

2-المرجع نفسه، ص225.

4- النزعة الانتقائية:

الميولات الشخصية تتحكم في المستقبل من حيث الدين، والعرف، والعقيدة والتّنشئة بحيث لا يستقبل عقله كل ما يصادفه وما يتعرض له.

5- إغلاق قنوات الاتصال:

بحيث ينعدم الاتصال "بين الأطراف المشاركة في العملية الاتصالية، فالاتصال يساعد على إزالة الفجوة والغموض بين الفرقاء"[1].

1- الإشراف التربوي - مفاهيمه وأساليبه -، جودت عزت عبد الهادي، ص225.

الفصل الثّاني:

الفعل التّواصلي للحدث الكلامي عند الجاحظ من خلال كتابه البيان والتبيين

- **المبحث الأوّل: مفهوم الفعل التّواصلي والحدث الكلامي لدى الجاحظ.**
- **المبحث الثّاني: تجليات العملية التّواصلية عند الجاحظ في مؤلفه البيان والتّبيين.**
- **المبحث الثّالث:عوامل نجاح عملية التّواصل عند الجاحظ.**
- **المبحث الرّابع: معوقات عملية التّواصل.**

المبحث الأوّل: مفهوم الفعل التّواصلي والحدث الكلامي لدى الجاحظ.

أ- يعرّف محمّد منير حجاب في كتابه "مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدّعاة" الفعل التّواصلي بأنّه «كلّ عملية تبليغ تكاملت واندمجت فيها عناصر التّواصل لتنتهي إلى الفهم وهو الهدف الأساسي للاستماع والقراءة»[1].

وينقسم الفعل التّواصلي إلى:

الفعل التّواصلي اللّفظي: وهو «كلّ فعل تواصلي يستعمل اللّغة من رسالة وحوار ونص ما سواء كان منطوقًا أو مكتوبًا، وهو أساس لسانيات النّص التي تعتمد العلاقات المتفاعلة بين عناصر النّص خاصة العلاقات الجملية»[2].

وقد تحدّث عنه جاكبسون في كتابه "قضايا الشّعرية" والذي يتطلب رسالة من المرسل توجه إلى المرسل إليه، وحتّى تكون فاعلة فإنّها تقتضي سياقًا قابلا لأن يدركه المرسل إليه، وقناة فيزيائية أي اتصالا يسمح لهما بإقامة التّواصل والحفاظ عليه[3].

ويتطلب الفعل التّواصلي للخطاب الأدبي أو العلمي ثلاث مستويات[4]:

1. مستوى التّلفظ:

ويتم تحديد سمات متلفظ الخطاب العلمي عن متلفظ الخطاب غير العلمي شفهيا أو كتابيًا واقعيا موضوعيًا أو متخيلا، وكذلك صيغ التّلفظ من جمل وعبارات إن كانت مناسبة للسّرد أو التّمثيل.

1 - مهارات الاتصال للإعلاميين والتّربويين والدّعاة، محمد منير حجاب، دار الفجر، ط1، 1999، ص16.

2 - اللسانيات التّطبيقية، صالح بلعيد، ص193.

3 - ينظر: قضايا الشّعرية، جاكبسون، ص27.

4 - ينظر: اللسانيات التّطبيقية، صالح بلعيد، ص194.

2.مستوى التّلقي:

وينبغي تحديد طبيعة المتلقي، إن كان يتسم بالموضوعية الواقعية بعيدًا عن الذّات أم أنّه يميل إلى التّخيل والتّصوير.

3. مستوى الوظيفة:

وفيه يتم تبيين الوظائف والوضعيات الخطابية للفعل الكلامي إن كانت إخبارية أم طلبية ندائية، أم إفهامية إلى غيرها من الوظائف التي ذكرها وحدّدها جاكبسون.

فالمستوى الأوّل والثّاني يتعلقان بسمات وخصائص طرفي الاتصال أي المرسل والمستقبل، في حين أنّ المستوى الأخير يتعلق ببنية الخطاب أو النّص، وينبغي أن ندرسه ونبحث عن تحققه اللّفظي دلاليًا وتركيبيًا أي تطبيق المستويين الدّلالي والتّركيبي باعتماد السّمات الأسلوبية والعناصر المنظّمة لبنية الخطاب لأنّ معرفة الأبنية اللّغوية والمعاني جزء من الكفاءة الاتصالية[1].

ب– الفعل التّواصلي غير اللّفظي:

ويكون عن طريق الإشارات التي تأخذ أشكالا متعدّدة كارتفاع وانخفاض الأحبال الصّوتية للتّأكيد على بعض الكلمات والحركات الجسمية والصّور والرّسومات وغيرها من الرّموز غير اللّفظية[2].

وعليه نجد أنّ الفعل التّواصلي يتحقق عند كلّ عملية يراد بها التّواصل سواء كان هذا التّواصل شفويًا أو كتابيًا، وتتحكم في ذلك أسس وركائز تبدأ من الكاتب أو المرسل، ومن الرّسالة ومتلقيها.

1 – ينظر: أساليب ومبادئ في تدريس اللّغة، دايان لارسن، تر:عائشة موسى الصّعيد، مطابع جامعة الملك سعود، 1997، ص151.

2 – ينظر: مهارات الاتصال للإعلاميين والتّربويين والدّعاة، محمد منير حجاب.، ص129–130.

- **مفهوم الحدث الكلامي:**

ورد مصطلح الكلام بمعان مختلفة، فاستخدمه سيبويه (ت180) بمعنى الحديث، وبمعنى النّثر وبمعنى اللّغة وبمعنى الجملة أيضًا، ففي المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية وللاتينية لجميل صليبا يعني «ذلك اللّفظ المركب الدّال على معنى بالوضع والاصطلاح»[1]، وورد عند علماء النّفس الألفاظ والجمل المعبّرة عن الفكر، أو المعاني القائمة بالنّفس التي يعبّر عنها بألفاظ مسموعة أو مكتوبة، والإنسان هو الذي يستطيع أن يبيّن عن ذاته بالكلام أما غيره فإنّه لا يستطيع ذلك[2].

وفي الغالب فهو «القيام بعملية التّكلّم التي تستدعي كلمات ورموز تترجم إلى أصوات فعلية يشترك فيها كلّ من المتكلّم والسّامع»[3].

وما يميّز هذه الظّاهرة إنّها حدث لا يستغرق أكثر من لحظات[4]، فضلا على وسائل الاتصال والتّكنولوجيا التي منحته الدّوام والاستمرارية سواء كتابة أو نطقًا.

فالحدث الكلامي تعبير عن الفكر إما بالتّحدّث أو بالكتابة، ومن ثمّ يعد اتصالا يستقطب طرفين المتحدّث والمستقبل ضمن نشاطي الإرسال والاستقبال تأكيدًا على وجوده ورغبة في التأثير على المرسل إليه[5]. فهو يتألّف من أصوات، والأصوات تكون أصغر وحدة ذات معنى، وهي الكلمة التي تكون بدورها تراكيب مختلفة من جمل وعبارات ض من نظام لغوي متناسق يحافظ على بنية الحدث وانسجامه للتأثير على المرسل إليه[6].

---

1 – المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية وللاتينية ، جميل صليبا، ج2، دار الكتاب العالمي، 1994، ص235.

2 – ينظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية وللاتينية ، جميل صليبا، ص234.

3 – دور الكلمة في اللّغة، ستيفن أولمان، تر:كمال بشر، ص36.

4 – ينظر: المرجع نفسه، ص36.

5 – ينظر: البحث الأسلوبي، معاصرة وتراث، رجاء عيد، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1993، ص96.

6 – ينظر: دور الكلمة في اللّغة، ستيفن أولمان، ص39.

فالكلمة هي أصغر وحدة كلامية لها معنى، وتغييرها يؤدي إلى تغيير مضمون التّركيب أو الجملة التي تتضمنها[1]. ومن ثمّ فلها أثر في عملية الإبلاغ، إذ فهمها وإدراكها من قبل المرسل يعني سيرورة العملية، ويكون وقفًا كذلك على المرسل إليه، الذي هو الآخر لابدّ وأن يعي أهمية ودورها في تواصلية الحدث الكلامي، ونرمي بذلك إلى أنّ الكلمة حتّى تتوضح عليها أن تتموقع ضمن سياق لأنّ هذا الأخير هو الذي يساعدنا على إدراك المعاني وتباينها[2].فوضعها في سياق مهما اختلف نوعه يؤدي إلى بيان الحدث الكلامي خاصّة إذا كان المرسل والمرسل إليه على لغة مشتركة ومرجعية يسيرة، فإنّ ذلك يتضح أكثر.

وقد وافق ستيفن ألمان الجاحظ في هذا ولم يختلف عليه، وإنّما الجاحظ تكلّم في مواضيع شتّى فذاع صيته وعظم شأنه، وساعده في ذلك الظّروف الأدبية والثّقافية التي كانت تسود زمنذاك.

فقد نظر الجاحظ في الكلام البشري ، فتحدّث عن اللّغة العربية الفصحى، واللّغات الأعجمية وسبب اختلافها ، وكذلك تناول نظامها الصّوتي والتّركيبي، كما تحدّث عن بيانها وبلاغتها وفصاحتها، وعيوبها وأسباب تبليغها، وقد تجلّى ذلك كثيرا في كتابه البيان والتّبيين، فتحدّث عن البيان وأدواته وجعل له بابًا يضم معناه وما قبله، وكذا وسائله المتعدّدة وأساليبه، فتعدّدت المواضيع وغرضها واحد يحمل ثنائية البيان والتّبيين والفهم والتّفهيم.

ومما لا شك فيه أنّ الجاحظ يستعمل كلمة البيان كمرادف للبلاغة حيث يدل على بلاغة التّعبير قولا وكتابة، وهو أهم وأوسع أنواع البيان، وأصبح عنده بمعنى خاص بلاغة الكلمة التي اصطلح عليها مجازًا وهو نقيض للعي الذي يعني عدم القدرة على الإفصاح، وهذا يصبح أيضًا مرادفًا للفصاحة[3].

فإذا ألحقنا مصطلح التّبيين فيعطينا عنوان كتابه البيان والتّبيين، لكن ميشال عاصي في كتابه "مفاهيم جمالية في أدب الجاحظ" فيرى أنّ الأصح هو التّبين وهي التي تركز على السّامع، و تشير

1 – ينظر: دور الكلمة في اللّغة، ستيفن أولمان، ص55. 56.

2 – ينظر: المرجع نفسه، ص70، 71.

3 – ينظر: مفاهيم الجمالية والنّقد في أدب الجاحظ، ميشال عاصي، مؤسسة نوفل، بيروت، ص42.

إلى حالته البيانية، في حين أنّ البيان يخص المتكلّم والذي يتحمل مهمة الإفهام[1] ومنه نجد أنّ مصطلحا العنوان يشيران إلى البلاغة والوضوح عند المتكلّم والسّامع معًا.

وبما أنّ الحدث الكلامي عند الجاحظ يتعلق بالكلام فجاء عنده بـ"معنى القول"[2] أو يأتي مسبوقًا بلفظة صناعة أي صناعة الكلام مع مفهوم اختيار: "اختيار الكلام" أو "مصحوبة بلفظة علم"[3] فتختلف الدّلالة عن بعضها من موضع لآخر.

فالقول يعني انجاز فعل صوتي عن طريق النّطق باللّسان إذ يقول: «أنّك لا تستطيع العبارة عن حاجاتك والإبانة عن مأربك إلّا باللّسان»[4] أي أن الالة الرّئيسة للقول هي اللّسان.

أما صناعة الكلام تتعلّق بأصحاب الصّنعة والتّكلّف، ويقصد بها حسن بناء اللّفظ والمعنى، وائتلافهما مع العروض والقوافي[5].

وقد تجلّى هذا في كتابات الجاحظ وبالخصوص في حديثه عن الشّعر، حيث رأى أنّ المعاني متوفرة بعكس الألفاظ التي هي قليلة، وقد تكون الألفاظ كثيرة تعبر عن معان قليلة، وقد تكون الألفاظ كثيرة تعبّر عن معان قليلة، والشّأن في ذلك يكمن في إقامة الوزن، واختيار اللّفظ وسهولة المخرج، وجودة السّبك، وهذه العناصر لها دور في عملية البناء اللّغوي أو نظم الكلام، وقد اشترط الجاحظ فيه ما يلي[6]:

-إقامة الوزن: كما هو في الشّعر حيص يكسب الكلام تناسقًا وانسجامًا ويضفي عليه طابع الجمالية.

1 - ينظر: مفاهيم الجمالية والنّقد في أدب الجاحظ، ميشال عاصي، ص44.

2 - البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص80.

3 - المصدر نفسه، ج3، ص367.

4 - رسائل الجاحظ، الرّسائل الأدبية، الجاحظ، دار مكتبة الهلال، ط2، 1991، ص301.

5 - ينظر: مفهوم الخطاب الشّعري في التّراث النّقدي العربي القديم، محمد كراكي، مجلّة التّواصل، العدد4، جوان، 1999، ص27.

6 - البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص67.

-اختيار اللّفظ وهو أن المتكلّم يختار الألفاظ المناسبة لموضوعه، في قوله:«وهم تخيّروا تلك الألفاظ لتلك المعاني»[1].

-سهولة المخرج: ويقصد به أن تكون الكلمات متجانسة، غير متنافرة، يسهل على اللّسان نطقها ودعا إليها حين قال بتجانس الحروف وسهولة المخارج، فالأصوات اللّغوية تتأثر ببعضها البعض في النّطق، فتتغير مخارج الأصوات لتتفق مع مخارج أصوات أخرى، ومن ثمّ يحدث التّوافق ويسهل النّطق[2] فتنافر الحروف وعدم انسجامها يؤثر على عملية التّواصل، ويؤدي إلى صعوبتها واستكراهها.

-جودة السبك: ويعني به حسن التّأليف والتّركيب، وانسجام العناصر اللّغوية فيما بينها حتّى تشكّل صورة متكاملة ومعنى تامًا.

فإذا وجدنا أنّ الجاحظ قد أخذ التّأليف والبناء اللغوي جلّ اهتمامه خاصة عند حديثه عن الكتاب المقدّس (القرآن) الذي خالف جميع الكلام الموزون والمنثور، وكيف صار نظمه وتأليفه من أعظم وأكبر الحجج[3]، واستدلّ بما حدث لسيدنا إسماعيل عليه الصّلاة والسلام الذي اكتسب اللّغة العربية في سن مبكرة دون تلقين وترتيب[4].

فالنّظم والتّأليف مرادفان عنده، وظهر حين تحدّث عن تنافر الحروف وتجانسها التي تشكّل أصغر وحدات الكلام التي تتركب مع بعضها البعض، وتتبلور في مفهوم التّأليف، وظهر هذا المصطلح أيضًا عندما ذكر الإعراب الذي يدخل في معناه، وكذا اللّحن الذي يكون على المستوى الصّوتي أو التّركيبي أو الدّلالي.

1 - البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1،ص139.

2 - ينظر: الجاحظ والدّراسات اللّغوية، أحمد عطية سليمان، دار الفردوس، 1995، ص95، عن التّطور اللّغوي، رمضان عبد التّواب، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1990، ص30.

3 - البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص383.

4 - المصدر نفسه، ج1، ص383.

كما نجد الجاحظ قد انشغل بالجودة في الشّعر كنموذج أو السّبك الجيّد، والتي يعني بها الوحدة العضوية، وأشار إليها عندما علّق على بيت شعري لأبي البيداء الرّيحاني، فرأى أنّ الشّعر ما كانت أجزاؤه منسجمة ومخارجه سلسة، حيث يؤدي الأوّل إلى الثّاني كأنّ البيت كلمة واحدة[1].

كما أشار الجاحظ إلى أنّ الحدث الكلامي أو الفعل اللّغوي نفعه عام، وفضيلته أبين والحاجة إليه أمس مهما كان الحيّز الذي يشغله[2]،والسّياق الذي يرد فيه بغض النّظر عن غاياته وأهدافه.

يرتبط الحدث الكلامي حسب ما نظر له علماء الاتصال بعنصرين:

أ–الأداء اللّغوي:

ورد هذا المصطلح في التّراث اللّغوي العربي القديم، وأصبح أكثر وضوحًا مع النّظرية التّحويلية التّوليدية والأداء اللّغوي هو طريقة في الإلقاء تخضع للموضوع والأسلوب والسّياق الاجتماعي والثّقافي وكذا الإطار الخطابي، وكلّها عوامل خارجة عن نطاق اللّغة لكنّها تساهم في الاتصال، فكما يشير الجاحظ أنّ الكلام يختلف من بيئة إلى أخرى بحسب الظّرف الاجتماعي، والنّمط الثّقافي والحضاري، إذ أنّ الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من النّاس، كما يفهم السّوقي رطانة السّوق[3].

ويعني أنّ تلاءم الألفاظ بعضها البعض، كأن يأتي الغريب بمثله والمؤتلف أيضًا مع مراعاة السّياق أو المناسبة التي وردت فيها، وأن تصيب الألفاظ المعنى المراد، فإنّ كان فخما كانت ألفاظه فخمة، أو غريبا فغريبة، أو جزلة فجزلة، أو متوسطة بين الغرابة والاستعمال، وإصابة المعنى يعني نجاح التّواص: "يقولون: أصاب الهدف، إذ أصاب الحق في الجملة"[4].

ومن ثمّ يقتضي الأداء حسن الوضع في النّظم ، إذ تتجانس كل لفظة مه ما جاورها، وأن تأتلف المعاني بالألفاظ، وتتعادل وتتناسب حتى يكون الإفهام والبيان.

1 – البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص67.

2 – المصدر نفسه، ص272.

3 – ينظر: المصدر نفسه، ص145-146.

4 – المصدر نفسه، ص 144.

ب- التّأثر والتّأثير:

إنّ مفهوم التّأثر عند علماء الاتصال بلوغ الهدف ونجاح الرّسالة، ويعني ذلك تأثير النّص على جمهور المتلقين[1] ومن ثمّ يتأثر المتلقي ويؤثر في الآخرين.

وبناء على هذا فإنّ اختيار الفرد لأدائه اللغوي يكون بالضّرورة نابعًا من تأثره بصيغ لغوية يوظفها هذا المجتمع، وبقدرته الأدائية فإنّه يؤثر في شريحته الاجتماعية، وقد يمتد إلى شرائح أخرى، ويحصل نتيجة لإمكانات متاحة، كاستغلال مفردات لغوية ضمن سياق معين لأجل تحقيق غرض بعينه، وترى رجاء عيد أنّ إذا كان في مجال النّص الشّفهي فإنّنا نلجأ إلى نطق معين ونغمة معينة، أو بالأحرى نجري على المواد اللّفظية التي يوفرها لنا النّظام اللغوي اختيارا، وهذا الاختيار لا يكون فقط تبعًا لإدراك المرسل، وإنّما يكون أيضًا تبعًا للإدراك الذي نتوقع أن يكون لدى المرسل إليه اتجاه النّص[2].

1 - ينظر: الاتصال ونظرياته المعاصرة، حسين عماد مكاوي، ليلى حسين السّيد، ص269.

2 - البحث الأسلوبي، معاصرة وتراث، رجاء عيد، ص97.

المبحث الثّاني: تجليات العملية التّواصلية عند الجاحظ في مؤلفه البيان والتّبيين.

لقد بيّنا فيما سبق أنّ مفهوم التّواصل لدى الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين يتجلى باعتباره محورا رئيسيًا في العملية الإبلاغية، وماله من علاقة بالمتكلمين في سياقات مختلفة، فيقول: «والبيان اسم جامع لكلّ شيء كشف لك القناع المعنى، وهتك الحجاب دون ضمير، حتّى يقضي السّامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدّليل لأنّ مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسّامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[1].

أ- المتكلّم:

يسعى المتكلّم إلى إظهار الخفي وإيصاله (المتلقي) مستعينا بكلّ المعنيات (اللّسانية الإشارية) ليحقق الهدف وهو الفهم، فالهدف الأساسي عند الجاحظ هو التّبليغ والإقناع وهي عملية تحقيق التّواصل الفعال، الذي يحقق بدوره المنفعة بين المخاطب والمخاطب .

تركز التّداولية على المتلقي وتوليه اهتماما بالغًا، والحرص على الأخذ بعين الاعتبار ظروف المتلقي وخصائصه في الخطاب الموجه له، وهذا يبدو جليا عند الجاحظ من خلال قوله:«من علم حقّ المعنى أن يكون الاسم طبقًا وتلك الحال له وفقًا... ومدار الأمر على إفهام كلّ قوم بقدر طاقاتهم، والعمل عليهم على أقدار منازلهم»[2]قال ابن الأعرابي قال معاوية بن أبي سفيان لصحاري بن عيّاش العبدي: «ما هذه البلاغة التي فيكم؟ قال: شيء تجيش به صدورنا فتقذفه ألسنتنا" وسئل أعرابي ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل»[3].

1 - البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص51.
2 - المصدر نفسه، ج1، ص66.
3 - المصدر نفسه، ج1، ص67.

ب- الخطاب:

يؤكد الجاحظ على ضرورة مخاطبة النّاس على قدر معارفهم ومستواهم الاجتماعي، فلا تكلّم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا تكلّم الملوك بكلام السّوقة.

يقول الجاحظ: «ومتى سمعت بنادرة من كلام الأعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها، فإنّك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخرج المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير، وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة الطّعام فإياك أن تستعمل فيها الإعراب، وأن تتخيّر لها لفظًا حسنًا، أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها»[1].

وهنا تتجلى وظيفة المرجع على المتكلّم أن يتبع نسقا واحدا في كلامه وتأليفه ولا يحاول الخروج من الملحون إلى الفصيح وأن يلتزم اللغة الأصلية التي نظمت بها الحكاية أو النّادرة.

حدّد الجاحظ خمسة عناصر للعملية التّواصلية وهي المتكلم والسامع والرسالة والقناة والشّفرة، فالرسالة تصل من متكلّم إلى سامع، وغاية كلّ منهما الفهم والإفهام عن طريق اللغة، وأما الشّفرة فهي كشف قناع المعنى وهتك الحجاب فـ«الكلمة تحمل معنى غامضًا إلى درجة ما، ولكن المعنى يكتشف فقط عن طريق ملاحظة استعماله، والاستعمال يأتي أوّلا وحينئذ يتقطر المعنى منه»[2].

فالتّواصل عند الجاحظ تعدى المنطوق ولم يقف عنده، فالكتابة أيضا تعتبر تواصل وهو ما أسماه بالخط، وقد قال الجاحظ عن الخط: «فما ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه في فضيلة الخط

1 - البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص96.

2 - أشكال التّواصل في التّراث العربي، سليم حمدان، ص100.

والإنعام بمنافعه الكتاب قوله لنبيّه ﴿...ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ [1]﴾.

وأقسم به في كتابه المنزل على نبيه المرسل حيث قال: ﴿ن ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ [2]﴾ ولذلك قالوا « القلم أحد اللّسانين... وقالو القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هدرا»[3].

ج- المخاطب: (السّامع)

تراعي البلاغة العربية حال السّامع، خاصّة في الخطابة ومراعاة مقامه، وذلك ما يسمى عندهم "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" وذلك ما دعا إليه الجاحظ في كتابه على لسان بشر بن المعتمر: "ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات... فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلامًا، ولكلّ حالة من ذلك مقامًا.. وحتّى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات[4] فهذا برهان على اهتمام العرب قديما بالسّامع أو بمن يوجه إليه الخطاب كائنا من كان .

فالجاحظ قسّم الفئة المستهدفة أو المخاطبة إلى خواص وعوام، وجاء على ذكر هذا في صحيفة بشر بن المعتمر: "وكن في ثلاث منازل فإنّ أولى الثّلاث، أن يكون لفظك رشيقًا عذبًا عند العامة إن كنت للعامة أردت، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكلك ليس يتصنع بأن يكون من معاني العامة"[5] وعلى هذا فعلى المتكلّم أن يستعمل كلّ كلام في محله حسب ما يسمى بمقتضى الحال والمقال، ومن هنا لا بد من توجيه الخطاب حسب قدرات المستمعين لتتم الفائدة به ويحصل النّفع وتتم العملية التّواصلية على أكمل وجه.

---

[1]- سورة العلق، الآية: 3-5.

[2]- سورة القلم، الآية: 1.

3 - البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص59.

4 - ينظر: المصدر نفسه،ج1، ص92.

5 - أشكال التّواصل في التّراث العربي، سليم حمدان، ص95.

المبحث الثّالث:عوامل نجاح عملية التّواصل عند الجاحظ.

تتطلب عملية التّواصل متكلما (مخاطبا) يرسل خطابه إلى مستمع (متلقي) يستقبل هذا الخطاب، ويقتضي أن تتوفر في كلّ عنصر شروطا حتّى تتم عملية التّواصل، لأنّها مبنية على أساس الفهم المشترك، وقد حاول الجاحظ أن يحافظ على نباهة المتلقي، لأنّه كان يعلم أنّ أي خطاب منتج له صلة بالقارئ، فكان يربط عملية التّأليف به، وكأنّه يريد السّيطرة عليه، حتّى لا يملّ، فلم يتصل إلا لطريقة الاحتيال ليحافظ على تلك الصّلة بينه وبين الخطاب: «وجه التّدبير في الكتاب إذا طال أن يداوي مؤلّفه نشاط القارئ له، ويسوقه إلى حظه بالاحتيال فمن ذلك أن يخرجه من شيء إلى شيء ومن باب إلى باب بعد أن لا يخرجه من ذلك الفنّ ومن جمهور ذلك العلم»[1] فإنّنا إذا تتبعنا كتب النّقد العربي فإنّنا نكاد نجزم بأنّه قلّما يخلو كتاب نقدي من آراء الجاحظ الذي وضع الأساس النّظري لتوجه الفكر العربي النّقدي نحو شروط إنتاج الخطاب[2].

تكلّم الجاحظ في كتاباته بشكل مباشر عن شروط التّواصل أو كما سماه هو بالبيان، حتّى يلفت انتباه المتلقي ويستميله إليه، وذلك أنّ البيان بحاجة إلى تمييز وسياسة وتنظيم وترتيب، وإلى تمام الآلة وإحكام الصّنعة، وإلى سهولة وبساطة المخرج، وجهارة المنطق وإتمام الحروف، وإقامة الوزن حتى تكون معاني جزلة ورائعة[3] ويقصد الجاحظ بالتّمييز والسّياسة أن يعمل الكاتب على إنتاج نصه، والتّحكم في مسارته، والتّصرف فيه وإخراجه إلى نص جاهز محكم تام لكلّ المستويات التّركيبية والدّلالية والصّوتية، حتّى يحظى باستمالة القلوب، ولفت الانتباه باستحواذ فكره ليصل إلى الفهم والإفهام.

ووضع الجاحظ شروطا لنجاح عملية التّواصل، نحاول أن نجمعها في ذا المبحث قدر المستطاع:

---

1 – البيان والتّبيين، الجاحظ، ج3، ص366.

2 – اللّغة العربية والإعلام، واقعها وآفاق تطورها، مجلّة مجمع اللّغة العربية، دمشق الجزء الرّابع، المجلّد 74، 1999، ص694.

3 – ينظر: البيان والتّبيين، الجاحظ، ج3، ص14.

أ- **المتكلّم (المرسل):**

ورد عند النّقاد القدامى بمعنى المتحدّث والخطيب والمعلّم والمؤلّف والقائل، فاهتموا به من حيث قدرته على توصيل الرّسالة، وسلامة نطقه، وذكر الجاحظ بتعرضه لأمراض الكلام، ومعنى ذلك أن يلتزم المتصّل بالخصائص النّطقية: "والذي يعتري اللّسان مما يمنع من البيان أمور، منها اللّثغة التي تعتري الصّبيان إلى أن ينشئوا..."[1] وقد أكّد ذلك عندما أشار إلى أهمية الأسنان في عملية النّطق: "لو عرف الزّنجي فرط حاجته إلى ثناياه في إقامة الحروف وتكميل جمال البيان، لما نزع ثناياه"[2] ويعني ذلك أن تتم عملية النّطق بطريقة صحيحة.

أكد هذه السّمات الصّوتية الباحثان Stuart وجودفري Judfree سنة 1970عن أهميتها في تفسير الرّسالة [3]، وقد سبقهم إلى ذلك الجاحظ بقرون طويلة.

كما ينبغي على المتكلّم وهو بصد والكتابة أن يتخيّر الألفاظ المناسبة، التي تظهر ما بنفسه من خواطر وأفكار، وأن ينسق بين ألفاظه، كما له أن يتناول المعاني التي تثير الأنفس وتحرك الفكر والمشاعر، ويبتعد عن المعاني العامة، إلا أنّه جعل المعاني مطروحة في الطّريق كيف وهو الذي يرى الشّعر صناعة وضرب من النّسيج وجنس من التّصوير[4].

وأن تكون ألفاظه رشيقة وسهلة، ومعانيه مكشوفة، فقال بشر بن المعتمر: «...أنّ يكون لفظك رشيقًا عذبًا وفخمًا سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفًا وقريبًا معروفًا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت»[5] .

1 - ينظر: البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص 71.

2 - المصدر نفسه، ج1، ص58.

3 - ينظر: نصوص تراثية في ضوء علم الاتصال المعاصر، خليل أبو أصبع، ص86.

4 - ينظر: دراسات بلاغية، بسيوني عبد الفتاح فيود، دار المعالم الثّقافية، ط1، 1998، ص12.

5 - البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص136.

وأن يترك عن التّعقيد اللّفظي والمعنوي: «وإياك والتّوعر، فإنّ التّوعر يسلمك إلى التّعقيد، والتّعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك»[1] ، وأن يحترم المقام وما يتعلق به[2]، وأن يكون كذلك متصلا نافعا حسب ما قاله بشر بن المعتمر: "وإنّما مدار الشّرف على الصّواب وإحراز المنفعة"[3] ولإعداد رسالة ناجحة على المتكلّم أن يلتزم بالتّريث، ويراعي مراحل صياغتها، وأن لا يتعجل ويتكلّف في القول، فاستشهد بما قاله بشر بن المعتمر "فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أوّل نظرك وفي أوّل تكلّفك"[4] وكذلك أن يضع في اعتباره مستويات المستمعين وحالاتهم إذ "ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، ولكلّ حالة من ذلك مقامًا"[5].

أشار ابن جنّي إلى أنّ من شروط المرسل (الراوي) سلامة الفطرة وصحة اللغة وأن يأخذ أهل الوبر، ويترك لغة أهل المدر أو الحضر لأنّها معرّضة للاختلال والخطل[6].

كما تعرض ابن خلدون لقضية الكذب في الخبر، وهو ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النّقل لأنّهم اعتمدوا على مجرد النّقل فقط دون النّظر في أصول هذه القضايا[7]، فابن خلدون يشترط في المرسل أن يكون على علم بالأحداث غائبها وحاضرها، وفاقها وخلافها وأصولها وقواعدها، مستوعبًا لكلّ حادث، وقفًا على أصول كلّ خبر، وحينها يكون الخبر صحيحًا[8]، ويرمي إلى التّأكد من صحة الخبر، ويرمي إلى التّأكد من صحة الخبر حتّى يبلغ مراده، وفي موضع آخر تحدّث عن الكاتب وما ينبغي أن يتحلّى به، أن يكون حليمًا في موضع الحلم، فهميمًا في موضع الحكم، مقدامًا في موضع

1 – البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1،ص36.

2 – ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص116.

3 – المصدر نفسه، ج1، ص136.

4 – المصدر نفسه، ج1، ص137-138.

5 – المصدر نفسه، ج1، 138-139.

6 – ينظر: في فقه اللغة والقضايا العربية، سميح أبو مقلي، ص243-244.

7 – ينظر: المقدّمة، ابن خلدون، ص21.

8 – ينظر: المصدر نفسه، ص39.

الإقدام حاكما بالعدل والأنصاف، محجمًا في موضع الإحجام، كتومًا للأسرار، وفيًا عند الشّدائد، عالمِا بما يأتي من النّوازل، يضع الأمور مواضعها والطّوارق في أماكنها قد نظر في كلّ فنّ من فنون العلم فأحكمه وإن لم يقدّر اكتفى بالقليل، ذو تجربة وأدب حسن، يعد لكلّ أمر عدّته، ولكلّ وجه هيأته وعادته[1].

ولعلّ هذه هي أغلب الشّروط التي ينبغي أن تتوفر في المرسل حتّى يصل إلى قلب السّامع وهي ضوابط تتعلّق بجانبي البيان والفصاحة والبلاغة، وهي ما ينادي به الإعلاميون حتّى تكون سهولة في الفهم والخروج بالسّامع إلى الهدف[2].

ب- المتلقي:

اهتم الجاحظ بالمتلقي اهتماما كبيرًا، فأشار إلى أنّ المتلقي ينبغي عليه أن يتلقى الرّسائل من نفس فئته ومستواه وطبقته، وهذا ما يسهل عملية الاتصال والتّواصل" ولأنّ أكثر النّاس عن النّاس أفهم منهم عن الأشباح الماثلة... ولأنّ الشّكل أفهم عن شكله (..) والصّبي أفهم له، وله آلف وإليه أنزع، وكذلك العالم، والجاهل..."[3]. وقد التقى الجاحظ مع تصور كثير من النّقاد المحدثين في هذا الباب منهم أبلسون Abelson وبايرن BYRNE[4].

وأن يدرك أيضًا مستوى الجمهور المتباين من عام وخاص، وأن يلتقي الرّسائل بالتّدريج، مما يساعده على الفهم والإيصال، وهو نفسه ما نادى به ابن خلدون (التّدرج في العلوم) للوصول إلى الهدف التّعليمي: "اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلمين إنّما يكون مفيدًا، إذا كان على التّدريج شيئا فشيئا، وقليلًا قليلًا.."[5].

1 - ينظر: المقدّمة، ابن خلدون، ص239.

2 - ينظر: إنتاج اللّغة الإعلامية في النّصوص الإعلامية، محمود خليل ومحمد منصور هيبة، 1999، ص240.

3 - الحيوان، الجاحظ، ج1، ص36.

4 - ينظر: نصوص تراثية في ضوء علم الاتصال المعاصر، خليل أبو أصبع، ص95.

5 - المقدّمة ، ابن خلدون، ص551.

ج- الوسيلة:

تحدّث الجاحظ عن أهمية الوسيلة في نقل الرّسائل "فجعل اللّفظ للسامع، وجعل الإشارة للنّاظر، وأشرك النّاظر واللّامس في معرفة العقد"[1] فما يميّز وسيلة اللّسان أنّ رسالته آنية حضورية، وأنّها لا تتجاوز مجلس صاحبها، في حين أنّ وسيلة القلم تكون في النّائبة والغائبة[2] أما وسيلة الإشارة والهيئة فلها دور في التّفاهم والتّواصل.

د-الرّسالة:

تعتبر العناية بالرّسالة عاملا مهما في نجاح التّواصل، سواء من حيث مضمونها أو شكلها أو صياغتها ونظمها، فنجد الجاحظ لم يغفل عن ذلك عندما تكلّم عن البيان باعتباره مرادفًا للوضوح الذي هو إحدى أبر سمات الرّسالة، ويكمن هذا الوضوح في إنشائها الذي يعتمد على: إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، ومرجعها إلى الفصاحة وعلمي البيان والمعاني[3].

تحدّث الجاحظ عن ذلك عندما نجده يحثّ على تجنب التّوعر والتّعقيد سواء كان لفظيًا أو معنويًا، وكذا التماس اللّفظ الشّريف والعذب والسّهل والمعنى الظّاهر المكشوف والمعروف، وأن يكتب بحسب مستويات الجمهور، فإنّ كان للخاصة فبلغتهم وإن كان للعامة فبلغتهم أيضًا، وأن يلتزم بالمقامات وأحوالها[4].

أيد علماء الاتصال ما جاء عند الجاحظ في هذا الباب وعلى رأسهم خليل أبو الأصبع الذي ذهب أنّ هدف توصيل رسالة ناجحة ومفهومة شرط أساسي لنجاح عملية التّواصل، وأنّ لعلمي المعاني والبيان أهمية كبيرة في تقديم التّواصل النّاجح.

وبناء على ما ذكرناه نقول أنّ هذه هي الشّروط التي رآها علماء اللغة العربية القدامى وعلماء الاتصال المحدثين وأنّها هي التي تضمن نجاحه.

---

1 - الحيوان، الجاحظ، ج1، ص36.

2 - المصدر نفسه، ص38 و59.

3 - ينظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، السّيد أحمد الهاشمي، ج1، ص19.

4 - ينظر: البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص136-139.

الفصل الثالث:

العوامل المؤثرة في عملية التّواصل اللغوي عند الجاحظ

المبحث الأوّل: المتكلّم

المبحث الثّاني: المخاطَب.

المبحث الثّالث: السّياق (المقام).

المبحث الأوّل: المتكلّم

من البديهي أن أوّل ما يحتاجه مؤلّف الخطاب هو معرفة اللّغة، وتقتضي معرفته باللّغة التوسع في معرفة العربية ووجوه الاستعمال لها، والعلم بفاخر الألفاظ وساقطها ومتخيرها فالمتكلّم البليغ عند الجاحظ هو من كان «ذا بيان وتبحر في المعاني وتصرف في الألفاظ».[1] حيث يستمد معرفته اللغوية من التّراث اللّغوي والأدبي، ومن كلام البلغاء والأنبياء، ومن لغات البـوادي التي لا تعرف من ظواهر اللّحن والعدول عن الأصول ما تعرفه اللّغة في الحواضر، وخاصة بعد انفتاح المجتمع العربي على شعوب أخرى.

ويستحسن في لغة المتكلّم أن تكون لغة وسطى لا هي باللغة السوقية ولا هي باللغة الغربية التي يظهر فيها التّكلف والتّصنع والغموض، بحيث تكون قادرة على التواصل مع كلّ طبقات المجتمع من دون أن يفقد هذا التواصل أدبيته وشعريته، بحيث نجدها أهلها كما يقول الجاحظ "قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا، ولا ساقطا سوقيا[2] وقد جاء في الصّحيفة الهندية أنّ المتكلم البليغ هو الذي يكون «في قواه فضل التّصرف في كلّ طبقة، ولا يدقق المعاني كلّ التّدقيق، ولا ينقح الألفاظ كلّ التّنقيح، ولا يصفيها كلّ التّصفية، ولا يهذبها غاية التّهذيب»[3] وجاء في صحيفة بشر بن المعتمر أن المتكلم يحتاج إلى الكد والمطاولة والمجاهدة والمعاودة، ويحتاج إلى اللّفظ الشّريف والمعنى البديع، مع تجنب الغموض والغلو والتعقيد، فهو يقول: «وإياك والتوعر، فإنّ التوعر يسلمك إلى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك»[4] .

1- البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص103.
2- المصدر نفسه، ص127.
3- المصدر نفسه، ص 92.
4- المصدر نفسه، ص136.

إن المعرفة اللغوية التي يحتاجها المتكلّم هي امتلاك ما يكفي من الخبرة لإنتاج خطاب لغوي لغته لها ما يميزها عن لغة التخاطب اليومي، من دون أن تفقد القدرة على التواصل والتأثير، ويمكن أن نسميها لغة أدبية لأنّها على حد قول بشر بن المعتمر «تفرض تلك الكفايات التي لا تهم من لم يتعاط قرض الشّعر ولم يتكلّف اختيار الكلام المنثور»[1] فهي معرفة لغوية تسمح للمتكلم البليغ بالجمع بين شعرية اللغة وأدبيتها وبين قدرتها على التواصل والتأثير.

كما ذهب الجاحظ إلى أنّه لا يكفي في لغة المتكلّم البليغ أن تكون قادرة على التواصل فمن «زعم أن البلاغة أن يكون السّامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللّكنة، والخطأ والصّواب، والإغراق والإبانة، والملحون والمعرب، كلّه سواء، وكلّه بيانا، وكيف يكون ذلك كلّه بيانا»[2] .

تحدث حسن المودن في كتابه بلاغة الخطاب الإقناعي بأن المتكلّم يحتاج أيضا إلى أن يحيط بالثقافة التي تحكم العالم الخارجي الذي يريد أن يتدخل فيه، وأن يعرف كيف يوظف عناصر هذه الثقافة لصالح خطابه، والثّقافة هنا مأخوذة في معناها العام، فلا يمكن تصور خطيب أو شاعر أو كاتب لا يحيط بعلوم العرب وآدابها وتاريخها وعاداتها وتقاليدها ودينها وقيمها وأخلاقها وطبائعها[3]، فالخطيب عند الجاحظ يكون «كثير العلم ومتصرفا في الخبر والأثر»[4].

ويرى الجاحظ أن المعرفة الإيديولوجية هي التي لا تنطلق من أي تمييز طبقي أو مذهبي ولا من أي خداع أو احتيال، ولا تتورط في الاختلاف والفرقة، وتسعى إلى بناء خطاب مستقل

1- البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص138.

2- المصدر نفسه، ص126.

3- ينظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي (نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب)، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، الأردن، 2014، ص53.

4- البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص102.

ومتخلق يخاطب المجتمع في مجموعه، وينال موافقة كلّ الطّبقات وانخراطها، ويتأسس على قيم الحق والصّدق والخير، وغايته إصلاح المجتمع وخدمة الصّالح العام، يقول الجاحظ: «فإن أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة، ومصلحة حال الخاصة، وكان يعم ولا يخص، وينصح ولا يغش، وكان مشغوفا بأهل الجماعة، شنفًا لأهل الاختلاف والفرقة، جمعت له الحظوظ من أقطارها، وسيقت إليه القلوب بأزمتها، جمعت النّفوس المختلفة الأهواء على محبته، وجبلت على تصويب إرادته»[1].

فلا يمن أن يكون هناك للخطاب أثر ما في المقام الذي طرح فيه ما لم يأخذ بعين الاعتبار الخصائص السوسيوثقافية لهذا المقام.

كما يذهب حسن المودن إلى أنّه يجب على المتكلم سن اختيار اللحظات النّفسية الانفعالية الأكثر ملاءمة لولادة الإبداع، وما يثير أن البلاغيين والنّقاد قد أولوا هذا الباب الكثير من الاهتمام، وربطوه بنوع من الظّروف الدّاخلية والخارجية التي تحيط بالإبداع، فأوّل ما يتناولونه عند حديثهم عن الخطابة أو الشّعر هو هذه الظّروف التي يولد فيها الإبداع.

يمكن اعتبار ما يقدمونه نوعا من التّصور التّكويني للإبداع يصب في ما يسمى اليوم عند الغربيين بالنّقد التكويني للإبداع، وهو علم يهتم بما قبل النّص أي بالمرحلة الزمنية التي يولد خلالها النّص ويتكون منطلقا من أن العمل الأدبي في شكله النّهائي لا يمكن أن يبقى معزولا عن تأثيرات تكونه الأساسية.[2]

1- البيان والتّبيين، الجاحظ، ج2، ص8.

2- ينظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي (نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب)، ص57.

نجد في مؤلفان النّقد والبلاغة الكثير من الوصايا والتوجيهات التي تتعلق بهذا الباب، حيث نجد على سبيل المثال لا الحصر في صحيفة بشر بن المعتمر توجيهات تتعلق بالحالة النّفسية الانفعالية التي يستحسن أن يكون عليها الخطيب قبل أن يقبل على الإبداع والإنتاج:

– توضح الصحيفة أن شرط حصول لحظات الإبداع أن يكون أولا بين الذّات المنتجة وصناعتي الشّعر والخطابة رباط تحكمه الشّهوة والمحبة، فلا يمكن لمن لا يملك ميولا نفسية إلى هذه الصّناعة أو تلك أن يبدع فيها، فالإبداع لا يكون إلا إذا توافرت تلك المشاكلة التي تتجاوز بها الذّات حدود الرّغبة والرّهبة «لأنّ النّفوس لا تجود بمكنونها مع الرّغبة، ولا تسمح بمخزونها مع الرّهبة، كما تجود به مع الشّهوة والمحبة»[1].

– يقول التّوجيه الأوّل من توجيهات هذه الصّحيفة: «خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك»[2] وأوّل ما يثير في هذا التوجيه أنّه نوعي لا كمي، يرى الإنتاج الحاصل من هذه السّاعة الخاصة «أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول»[3] ويرى أنّه «أكرم جوهرا، وأشرف حسبا، وأحسن فيس الأسماع، وأحلى في الصّدور، وأسلم من فاحش الخطاء، وأجلب لكلّ عين وغرة»[4].

– لأنّه إنتاج يصدر عن لحظة نفسية انفعالية تتمتع فيها الذّات المبدعة بالنّشاط النفسي والتركيز الذّهني، وتتمتع فيها بقبول النّفس الاستجابة للعطاء والإبداع فما تقدّمه هذه اللّحظات الخاصة أكثر قيمة عند بشر بن المعتمر مما يمكن أن تقدّمه أوقات كثيرة «بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتّكلف والمعاودة»[5].

1- البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص138.
2- المصدر نفسه، ح1، ص135.
3- المصدر نفسه، ج1، ص136.
4- المصدر نفسه، ص135.
5- المصدر نفسه، ص136.

وبمعنى آخر، لا يستحسن إكراه النّفس على الإنتاج والإبداع، بل يستحب انتظار لحظة النّفس وتجاوبها، وهذا ما تقصده الصحيفة حين تقول: «فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أوّل نظرك وفي أوّل تكلفك، وتجد اللّفظة لم تقع موقعها ولم تصر إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها، نافرة من موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنّزول في غير أوطانها»[1].

المبحث الثّاني: المخاطَب.

إنّ أوّل ما ينبغي للمتكلّم أن يحدده ويأخذه بعين الاعتبار قبل بناء خطابه هو نوعية مخاطبه، أي هويته السوسيوثقافية وبهذا الخصوص، نجد البلاغي يتحدث عن نوعين أساسيين من المخاطبين، يسمى الأول العامة أو العوام، والثّني الخاصة أو الخواص، ذلك لأنّ الخطاب يكون "«على قدر المستمعين، من يحضره من العوام والخواص»[2] .

ويعني مصطلح العامة كما مصطلح الخاصة معاني عديدة، ونجد الجاحظ يستعمل هذه العبارة في أكثر من مكان، وخاصة عندما يتحدّث عن نوعية الخطاب الشّفوي، فهو يقول مثلا: «والناس لا يعيّرون الخرس، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز وهم يؤنبون الحصر، ويؤنبون العيي»[3]. وينقل أقوالا لعلماء آخرين تستعمل هذه العبارة، ومن ذلك: وقال عبد الله ابن مسعود:«حدث النّاس ما حدثوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، ولاحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك»[4]، وبهذا تعني عبارة الناس ما يسمى اليوم الجمهور

1- البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص137. 138.
2- المصدر نفسه، ص105.
3- المصدر نفسه، ص12.
4- المصدر نفسه، ص104.

العام، وخاصة ذلك الذي يواجه المتكلم بشكل مادي ملموس، وبهذا المعنى فالنّاس جمهور عام يتألف من مكونات متنوعة ومتنافرة، وفي نظر البلاغي يكون المبدأ العام الذي ينبغي أن ينطلق منه المتكلّم كلما فكر في توجيه خطاب إلى النّاس هو ما جاء في قول بعض العلماء الأوائل: «إنما النّاس أحاديث، فإن استطعن أن تكون أحسنهم حديثًا فافعل»[1] وهذا يعني أن النّاس هم خطابات، ولا يؤثر فيهم إلا من استطاع أن يوجه إليهم أحسن الخطابات وأبلغها، فما ينبغي أن يفكر فيه المتكلّم مسبقًا هو بلاغة الخطاب الأكثر تأثيرًا على النّاس.

ونجد الجاحظ يدقق معنى العامة، ويميزه عن معنى النّاس، فالعامة لا تعني الناس جميعا، أي كلّ الأمم وكلّ الطّبقات، بل هي تعني حتّى العرب كلّهم، قدر ما تعني طبقة وسطى تتألف من كلّ المكونات الاجتماعية التي لها كفايات الإقبال على العلم والأدب، وبعبارة أخرى، لا يمكن الحديث عن طبقة العامة عند الهمج وأشباه الهمج، فالعامة لا تكون إلا في أمة، والأمة هي كلّ جماعة بشرية تتصف بالتحضر والتمدن، والعامة طبقة وسطى في هذه الأمة، وفي هذا المعنى يقول الجاحظ: «وإذا سمعتموني أذكر العوام، فإني لست أعني الفلاحين والحشوة والصّناع والباعة، ولست أعني أيضا الأكراد في الجبال، وسكان الجزائر في البحار، ولست أعني من الأمم مثل البير والطّيلسان، ومثل موقان وجيلان، ومثل الزّنج وأشباه الزّنج، وإنّما الأمم المذكورون من جميع النّاس أربع: العرب، وفارس، والهند والرّوم، والباقون همج وأشباه الهمج وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا، ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا، فالطّبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا»[2].

والخاصة هي الطّبقة العليا في المجتمع، وتتألف من الأسياد والملوك والخلفاء والوزراء والكتّاب والأمراء وقواد الجيوش والقضاة والعلماء ورجال الأدب، ويسجل الجاحظ: أنّ الخاصة

1- البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص75.

2- المصدر نفسه، ص137.

تتفاضل في طبقات أيضا[1] وهذا ما يوضحه كثير من النقاد والبلاغيين القدامى كابن رشيق وغيره.

وبناء على ما سبق ذكره فإنّ مايهم البلاغي من تصنيف المخاطبين إلى عامة وخاصة عناصر أساس ينبغي للمتكلّم أن يأخذها بعين الاعتبار قبل إنتاج خطابه[2]:

- الأخذ بعين الاعتبار أن المخاطب طبقات، ولابد بالتّالي أن يكون الخطاب طبقات، والجاحظ يقول: «وكلام النّاس في طبقات كما أن النّاس أنفسهم طبقات»[3] والمتكلم البليغ «لايكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السّوقة»[4].
- الأخذ بعين الاعتبار أن التصنيف الطّبقي لا يعني أنّ الخاصة وحدها هي التي يوجه إليها الخطاب، بل الهدف من هذا التّصنيف أن يأخذ المتكلّم بعين الاعتبار الطّبقة التي يتوجه إليها بالخطاب، ويكون قادرا على أن يضع لكلّ طبقة الخطاب الذي يناسبها ويطابقها "فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما[5].
- ويعني ذلك أن قيمة الخطاب تعود إلى قدرته على التصرف في كلّ الطبقات وتحقيق الغاية التي من أجلها وضع، فمعنى الخطاب مثلا ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنّما مدار الشّرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال.[6]

1- المصدر نفسه، ص137.
2- بلاغة الخطاب الإقناعي (نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب)، حسن المودن، ص291.
3- البيان والتّبيين، الجاحظ،ج1، ص144.
4- المصدر نفسه، ص92.
5- البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص138.
6- المصدر نفسه، ص138.

فقيمة الخطاب تظهر في تجسيده للهوية الطبقة لمخاطبه، فلا يمكن للتواصل أن يحصل ولا للإقناع أن يتحقق إذا واجه المتكلّم طبقة من المخاطبين بخطاب يخص طبقة أخرى.

ويرى حسن المودن في كتابه بلاغة الخطاب الإقناعي أن مراعة الحال مبدأ من المبادئ الأساسية التي يتأسس عليها الخطاب الإقناعي، ويشدّد على هذا جل البلاغيين[1]، حيث يقول بشر بن المعتمر في صحيفته إنّ «مدار الشّرف على الصّواب وإحراز المعنى مع موافقة الحال»[2] ومن شروط الخطاب البليغ عند الجاحظ أن يكون "لتلك الحال وفقا[3] .

وبناءً على ما سبق نقول أن الخطاب يقوم على مبادئ أساسية وهي أن الإقناع يتوجه إلى العقل، ويعمل من أجل إفهام المخاطب، ويجب على المتكلم أن يأخذ بعين الاعتبار الفروق الذهنية بين طبقات المخاطبين، فهي تتفاوت من طبقة إلى أخرى ومن شخص إلى شخص.

المبحث الثّالث: السّياق (المقام).

إذا كانت العرب تقول "لكل مقام مقال" حسن المودن في كتابه بلاغة الخطاب الإقناعي قد افترض أنّ هذه المقولة تعني أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقة الجدلية بين الخطاب وسياقه، فهي العلاقة التي تفرض أن نفهم السّياق بالمعنى الذي يضيق كثيرًا فيعني النّص نفسه باعتباره سياقا، أو يمتد قليلا فيعني السّياق الأدبي الذي ينتمي إليه النّص، وقد يتسع أكثر فيعني علاقة النّص بالإنسان والمجتمع والتّاريخ[4].

1- ينظر: بلاغة الخطاب الإقناعي (نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب)، حسن المودن، ص294.
2- البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص136.
3- المصدر نفسه، ج2، ص294.
4- ينظر: بلاغة الخطاب الإقناعي (نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب)، حسن المودن، ص313.

وما يفهم من هذا المبدأ هو أنّ الفصل بين المقال والمقام بطريقة جذرية أمر غير ملائم، لأنّه من الصّعب أن نقول إنّ هناك في جهة ما عالما للأشياء والأنشطة الخرساء وفي جهة أخرى توجد اللغات والمقالات، فالسياق بمعنى من المعاني لا يقع خارج الخطاب، باعتبار أنّ «الخطاب البليغ هو ما يجنح في تدبير سياقه»[1]، وقد قال ابن المقفع أن خطابك يوصف بالبلاغة:«إذا أعطيت كلّ مقام حقّه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام»[2]، وقال بشر بن المعتمر: «وإنما مدار الشّرف على الصّواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من المقال»[3].

وعليه فإنّ مراعاة المقام مبدأ مركزي في البلاغة، ومع ذلك فهو متعدد المعاني متفوتها، ونقترح التّركيز على معنيين أساسيين: أولهما مراعة الألفاظ للأغراض والمقاصد وثانيهما مراعاة التراكيب للأغراض والمقاصد، لأنّهما معنيان يكشفان العلاقة الجدلية بين المقال والمقام.

كما يجب على المتكلم أن ترعي ألفاظه المقام الذي هو فيه وذلك من خلال:

- مراعاة حال المخاطب، وخاصة على المستوى اللغوي والفكري، فلا تستعمل من الألفاظ إلا تلك التي نلائم هذا المستوى، وهذا ما وضّحه بشر بن المعتمر في قوله: «فإن كان الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنّه إن عبّر عن شيء من صناعة الكلام...كان أولى به ألفاظ المتكلمين»[4]، ومعنى هذا أنّ نوعية الألفاظ تحددها نوعية المخاطب فإن كان المخاطب من المتكلمين جاز مخاطبته بألفاظ المتكلمين، ولا يجوز ذلك مع غير المتكلمين،

1- بلاغة الخطاب الإقناعي (نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب)، حسن المودن، ص314.
2- البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص116.
3- المصدر نفسه، ص315.
4- المصدر نفسه، ص139.

ذلك لأن الحال اللغوي والفكري للمخاطب هو الذي يحدّد نوعية الألفاظ المستعملة من قبل النّص والخطاب.

- وتكون مراعاة اللفظ للمقام بمعنى مراعاة جنس الخطاب وغرضه، فالجاحظ يقول: "ولكلّ ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء"[1]فإذا كان المقام مقام ضحك ويقتضي لفظا سخيفا لكن أبدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع من أجل الترفيه يكرب المجلس.
- تكون مراعاة اللّفظ للمقام بمعنى مراعاة السّياق النّصي الدّاخلي الذي يحتل فيه كلّ لفظ موضعا مناسبا ملائما، فإذا وجدت «اللّفظة لم تقع موقعها ولم تصر إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها، نافرة من موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنّزول في غير أوطانها»[2]، أي أنك إذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها، ولا صائرة إلى مستقرها، ولا حالة في مركزها، بل وجدتها قلقة في مكانها، نافرة من موضعها، فلا تكرهها على القرار في غير موطنها.

1- الحيوان، الجاحظ، ج3، ص39.

2- البيان والتّبيين، الجاحظ، ، ج1، ص138.

خاتمة

ها نحن قد وصلنا إلى آخر ثمرات جهدنا، الذي حاولنا فيه إعطاء فكرة عن التواصل اللغوي وآلياته وإبراز أهم عناصره وخصائصه لدى الجاحظ، فتوصلنا من خلال ذلك إلى مجموعة من النتائج نحصرها فيما يلي:

- إن الحديث عن التواصل يعني أن نأخذ بعين الاعتبار عناصره وأطرفه الأساسية (المتكلم والمخاطَب والرسالة، والسياق).
- لقد تنبّه العرب في وقت مبكّر من تاريخ العلوم اللغوية والبلاغية إلى الظّاهرة الكلامية وما تقوم عليه من أسس، وما تحقّقه من غايات فضلا عمّا يكتنف دورة التخاطب من ملابسات، وقد قادهم البحث في هذا المجال إلى وضع نظرية تواصلية متكاملة أرسى دعائمها، وجلّى معالمها أبو عثمان الجاحظ الذي استقصى أطراف الفكرة من كلّ أبعادها حتى حاز قصب السّبق في هذا المجال.
- أن الجاحظ كان يدرك تمام الإدراك جميع مفاصل العملية التّواصلية اللغوية وعوامل نجاحها ومعيقاتها، ويتجلى ذلك من خلال نصوصه المتناثرة في كتابه البيان والتّبيين.
- حاولنا في هذه الدراسة إسقاط عناصر التواصل التي جاء بها جاكبسون على ما ورد لدى الجاحظ في مدونته الشهيرة البيان والتّبيين.
- تولي نظرية التواصل عند الجاحظ عناية بالمتكلّم كونه الحلقة الفاعلة في دورة التخاطب. ولعلّ من أقوى أسباب اهتمام الجاحظ بالمتكلّم تعميقه لفكرة السنة المشتركة، بين القائل والسّامع إلى مستويات عدّة تملي على المتكلّم تنزيل النّاس منازلهم.
- يعتبر المتكلّم الركيزة الأساسية في العملية التواصلية باعتباره منتجا للخطاب اللغوي، الذي يراعي فيه طبيعة المخاطب والمقام الذي يحتويه.

وختاما نسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا في حياتنا وأن ينفع به من قرأه أو كان سببًا في إنجازه سبحانه هو ولي ذلك والقادر عليه وصلى اللّهم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، برواية ورش.

أولا: المصادر.

1. ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الكبر، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط3،1991م.
2. ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للنشر، لبنان، 2007م.
3. ابن خلكان، الأعيان وأنباء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3.
4. أبو الفتح ابن الجني، الخصائص، تح: محمود علي النجار، ج 1، د ط، دار الكتاب العربي، مصر.
5. أبو عثمان الجاحظ، البخلاء، تح: التونجي، بيروت، دار الجبل ط1، 1993.
6. أبو عثمان الجاحظ، البيان والتّبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ج1، 1418هـ 1998م
7. أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ج1، دار الكتاب بيروت، لبنان، ط3، 1969.
8. أبو عثمان الجاحظ، رسائل الجاحظ ، الرّسائل الأدبية، دار مكتبة الهلال، ط2، 1991.
9. أبو عثمان الجاحظ، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، دس.
10. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: مقيد قميحة، ط2، دار الكتب العلمية، 1981م، 1989م.
11. السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط كتبه وهوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1989 م.
12. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1982م.

13. شعبان عبد عطية آخرون، المعجم الوسيط، ط1، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 2004م.
14. ابن النديم، الفهرست، تح: رضا تحدد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط. دت.
15. ابن منظور، لسان العرب، ج:15، حرف الواو مادة (وصل)، دار صادر، بيروت، لبنان، 2003م.
16. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، حققه وضبطه وأعدّ حواشيه عمر فاروق الطبّاع مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت لبنان، ط1999، ج16.

ثانيا: المراجع.

1. أحمد عزوز، الاتصال ومهاراته مدخل إلى تقنيات فنّ التبليغ والحوار والكتابة، منشورات مختبر اللغة العربية والاتصال، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2016م.
2. أحمد عطية سليمان، الجاحظ والدّراسات اللّغوية، دار الفردوس، .
3. بدوي طبانة، البيان العربي . دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب، ط7، دار المنارة ودار الرفاعي، الرياض، 1988م.
4. بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، دار المعالم الثّقافية، ط1، 1998.
5. بشير محمد عربيات، إدارة الصفوف وتنظيم بيئة التعليم، ط1، دار الثقافة، عمان الأردن، 2006 م.
6. تاعوينات علي، التواصل والتفاعل في الوسط المدرسي، إعداد: هيئة التأطير بالمعهد، الجزائر، 2009م.
7. تركي بن الحسن الدهماني، نزهة الأديب والكاتب البليغ، ط1، أمواج للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2013م.
8. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج2، دار الكتاب العالمي، 1994.
9. جودت عزت عبد الهادي، الإشراف التربوي، "مفاهيمه وأساليبه"، ط1، دار الثقافة، عمان، الأردن، 2006.

10. جورجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط1983 م1 ص 476.
11. حجازي مصطفى، الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارة، دط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1989م.
12. حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي (نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب)، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، الأردن، 2014.
13. حسن عماد مكاوي، ليلى حسن السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط1، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998م.
14. حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت، ط3، 2003.
15. رجاء عيد، البحث الأسلوبي، معاصرة وتراث، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1993.
16. رفيق لبوحسيني، الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية والتواصل، ط1، سلسلة فكر ونقد، ، الكتاب الثالث.
17. رمضان عبد التّواب، عن التّطور اللّغوي، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1990.
18. السّيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج1.
19. شحدة فارغ وآخرون، في اللغويات المعاصرة، ط3، دار النشر والتوزيع، الأردن، 2006.
20. صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ط1، دار هومه، الجزائر، 2011م.
21. صالح عبد المقصور، تعديل سلوك الأطفال المعاقين، سمعيا (النظرية والتطبيق)، ط1، دار الوفاء دنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية 2009 .
22. طلعت منصور، سيكولوجية الاتصال، عالم الفكر، الكويت، المجلد 11، 1980م.
23. طه الحاجري، الجاحظ حياته وأثاره، دار المعارف، مصر.
24. عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون.
25. عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، نشر الشّركة التّونسية للتّوزيع، 1948م.
26. عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، جامعة الإسكندرية، 1992م.

27. علي بوملح، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار الطبيعة، بيروت، للطباعة والنشر، دط، دس.
28. علي عجوة وآخرون، مقدمة في وسائل الاتصال، ط1، مكتبة مصباح، مكتبة السعودية، جدة السعودية، 1989م .
29. فهد محمد الشعابي الحارثي، الاتصال اللغوي في القران الكريم، ط1، مكتبة مؤمن قريش، منتدى المعارف، بيروت، 2014 م.
30. فهد محمد الشعابي الحارثي، الاتصال اللغوي في القرآن الكريم، ط1، مكتبة مؤمن قريش، بيروت لبنان، 2014م.
31. فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 2005.
32. كاظم حطيط، دراسات في الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1977.
33. ليلى شحرور، فن التواصل والإقناع، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، 2009م.
34. محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1983.
35. محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1997م.
36. محمد كراكي، مفهوم الخطاب الشّعري في التّراث النّقدي العربي القديم، مجلّة التّواصل، العدد4، جوان، 1999.
37. محمد محمود مهدي، مدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، القاهرة 1997م.
38. محمد منير حجاب، مهارات الاتصال للإعلاميين والتّربويين والدّعاة، ط1، دار الفجر، 1999.
39. محمود خليل ومحمد منصور هيبة، إنتاج اللّغة الإعلامية في النّصوص الإعلامية، 1999.
40. مهارات الاتصال، شريف الحمودي، ط2، عمان، دار يافا، 2006م.
41. ميشال عاصي، مفاهيم الجمالية والنّقد في أدب الجاحظ، مؤسسة نوفل، بيروت.

ثالثا: المراجع المترجمة.

1. دايان لارسن، أساليب ومبادئ في تدريس اللّغة، تر:عائشة موسى الصّعيد، مطابع جامعة الملك سعود، 1997.
2. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، تر:كمال بشر.

رابعا: الرسائل الجامعية.

1. شيباني الطيب، استراتيجيات التواصل اللغوي، مذكرة ماجيستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص تعليمية اللغة العربية وتعلمها، إشراف د لبوح بوجملين، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2009م /2010م.

خامسا: المقالات والمنشورات.

1. اللّغة العربية والإعلام، واقعها وآفاق تطورها، مجلّة مجمع اللّغة العربية، دمشق الجزء الرّابع، المجلّد 74، 1999.
2. مجلة اللغة والاتصال، مجلة علمية محكمة يصدرها مختبر اللغة العربية والاتصال، جامعة وهران، ع: 13، 2013م.
3. مهارات الاتصال، الجامعة السعودية الالكترونية عمادة السنة التحضيرية، ط1، 2012م.
4. رضوان القضماني، نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد1، ع 29، 2007م.
5. نعمة دهش فرحان الطائي، النظرية التواصلية، مجلة الأستاذ، العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الخامس، جامعة بغداد 2017م.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات:

شكر

إهداء

مقدمة: .....أ

مدخل: الجاحظ ومؤلّفه البيان والتبيين.....

Erreur ! Signet non défini.

الفصل الأوّل: التّواصل اللغوي

المبحث الأوّل: مفهوم التّواصل بين اللّغة والاصطلاح.....16

المبحث الثّاني: أهمية التّواصل وعناصره 24

المبحث الثّالث: أهداف التّواصل وأنواعه 26

المبحث الرّابع: معوقات عملية التّواصل. 32

الفصل الثاني: الفعل التواصلي للحدث الكلامي عند الجاحظ من خلال كتابه البيان والتبيين

المبحث الأوّل: مفهوم الفعل التّواصلي والحدث الكلامي لدى الجاحظ. 35

المبحث الثّاني: تجليات العملية التّواصلية عند الجاحظ في مؤلفه البيان والتّبيين.....43

المبحث الثّالث:عوامل نجاح عملية التّواصل عند الجاحظ. 46

الفصل الثّالث: العوامل المؤثرة في التواصل اللغوي عند الجاحظ

المبحث الأوّل: المتكلّم.....53

المبحث الثّاني: المخاطَب. 57

المبحث الثّالث: السّياق (المقام).....60

خاتمة.....63

قائمة المصادر والمراجع 67